العلم المأثور

في الرد على المستنجدين بالمقبور

تأليف
فضيلة الشيخ الدكتور
محمد تقي الدين الهلالي

اعتنى بنشره وخرج أحاديثه
محمد بن عوض بن عبد الغني المصري

دار الاستقامة

العلم المأثور

في

الرد على المستنجدين بالقبور



الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٢٠١٤/١٣٢٥٥



جمهورية مصر العربية

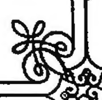
ش الهدي المحمدي- أحمد عرابي – مساكن عين شمس - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠١٢٨٥١٨٣٤٤٢-٠٠٢٠١٢٢٧٤٨٣٢٦٣

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٩٨٧٦٣٧٧

zahran_75@yahoo.com





العلم المأثور

في

الرد على المستنجدين بالقبور

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

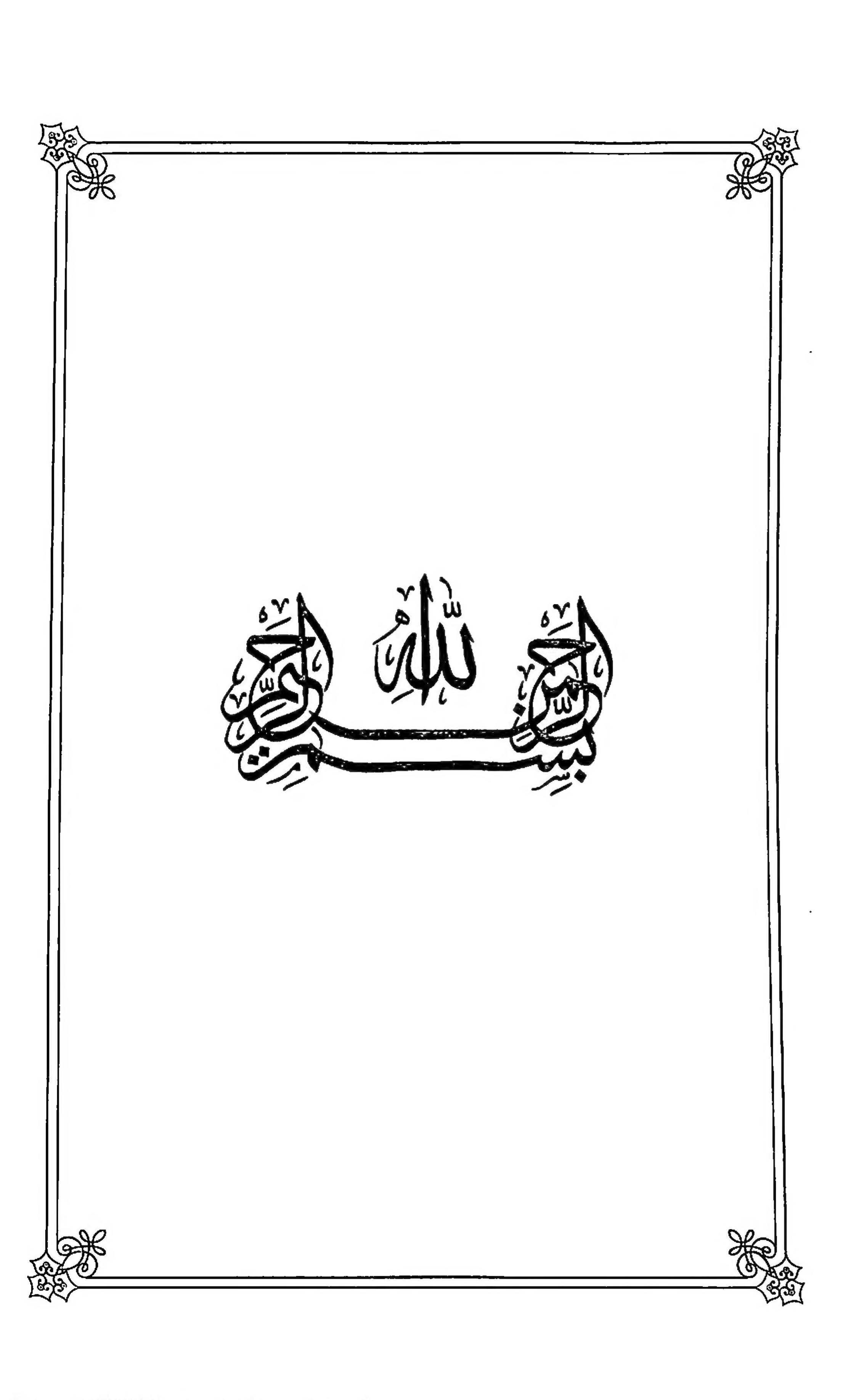
محمد تقي الدين الهلالي

رحمه الله تعالى

اعتنى بنشره وخرج أحاديثه

محمد بن عوض بن عبد الغني المصري




بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المعتني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، ومن اهتدىٰ بهداه واستن بسنته إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فلقد كان من أعظم مكايد إبليس تزيينه لخلق الله الغلو في الصالحين؛ ونتيجةً لذلك وقع كثير من الخلائق في الشرك برب العالمين، وتحجج في سبيل ذلك بحجج وشبهات واهية، وهذا كله يندرج في حرب الشيطان علىٰ بني الإنسان، مما يفسد علىٰ الإنسان دنياه وآخرته.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام:١٢٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعنون: استمتاع كل نوع بالنوع الآخر، فاستمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يأمرونهم به من الكفر والفسوق والعصيان؛

فإن هذا أكثر أغراض الجن من الإنس؛ فإذا أطاعوهم فيه فقد أعطوهم مُناهم، واستمتاع الإنس بالجن: أنهم أعانوهم علىٰ معصية الله تعالىٰ، والشرك به بكل ما يقدرون عليه من التحسين والتزيين والدعاء، وقضاء كثير من حوائجهم، واستخدامهم بالسحر والعزائم وغيرها، فأطاعهم الإنس فيما يرضيهم: من الشرك والفواحش والفجور، وأطاعتهم الجن فيما يرضيهم: من التأثيرات والإخبار ببعض المغيبات، فتمتع كل من الفريقين بالآخر»(١).

ومن أعظم مظاهر الغلو في الصالحين:

تعظيم قبورهم، والاستغاثة وطلب الحوائج عندها، رغم أن هؤلاء أموات لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤].

بل كان أول مظاهر الشرك علىٰ الأرض هو الغلو وعبادة الصالحين، والافتتان بقبورهم، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [نوح:٢١-٢٤].

---

(١) «بدائع التفسير» (٢/ ١٨١، ١٨٢).

من أجل هذا كله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لتحقيق غاية واحدة: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢، ٣].

فكانت كلمة التوحيد التي من أجلها نصبت الموازين، ومن أجلها ضُرِبَ الصراط، ومن أجلها قامت سوق الجنة والنار، ومن أجلها افترق الناس، ففريق في الجنة وفريق في السعير.

لقد جاء النبي ﷺ بدعوة التوحيد: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمةَ ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا علىٰ قبره، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»(١).

هذا الصنف الذي ذكره الله عز وجل في كتابه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس:١٨].

وقال أيضًا: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء:٥٦، ٥٧].

فتفريج الكربات وطلب قضاء الحاجات لا يكون إلا مَن بيده ملكوت السموات والأرض الذي يُستغاث به في الشدائد والملمات ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

فما يفعله الكثير من الناس من صرف النذر والاستغاثة والدعاء بمن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا - هو شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، لا دليل عليه، مخالف لفطرة الإنسان التي تنزع بداخله اللجوء إلىٰ الملك المنان، وطلب المراد منه دون سواه؛ إذ لا رب لنا سواه.

وقد كتب العلماء -رحمهم الله- حول الشرك وصوره والتحذير منه الكثير والكثير، مما لا ساحل له؛ إذ إن هذا الأمر هو رأس الإسلام، الذي لا يقبل بغيره عبادةٌ عند الله ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

ومن بين هؤلاء العلماء العلامة محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي أفرد ردًّا مستقلًا علىٰ المستنجدين بالقبور، المستغيثين بأهلها الذين لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا.

وقد آثر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يخص مجلة الهدي النبوي الناطقة باسم أنصار السنة في ذلك الوقت بنشر هذا الرد في سلسلة حلقات نشرت بالمجلة في عهد

العلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ الرئيس العام لأنصار السنة المحمدية المعروف وسط أهل العلم بـ: «هادم الطواغيت».

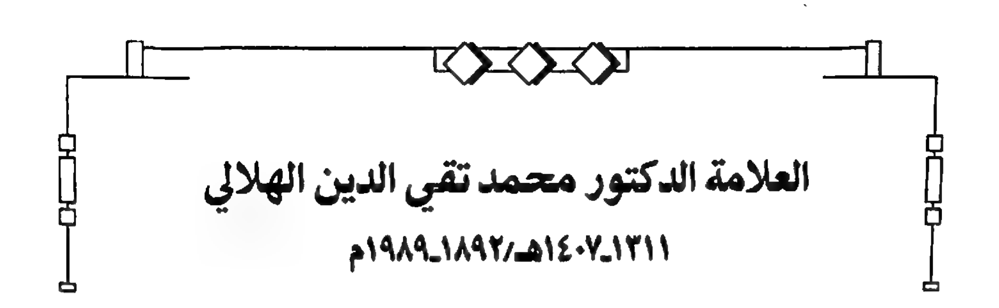
وقد قام رَحِمَهُ اللَّهُ بتقريظ هذا الرد في المجلة وعلق على بعض مواضعه، ونشره فجزاه الله خيرًا، وجعل ذلك في ميزان حسناته رَحِمَهُ اللَّهُ.

واليوم بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ نقدم هذه الرسالة ضمن «سلسلة تراث أعلام الدعوة بمصر»، والتي تضمنت ذخائر وكنوزًا من تراث سلفنا المعاصرين - رحمهم الله-.

وقد جمعتُ هذه الرسالة، ووثقت نصوصها، وخرجت أحاديثها، سائلًا المولىٰ عَزَّ وَجَلَّ أن يعم النفع بها، وأن يغفر ويرحم صاحبها، ومن قرظها، ومن أعان علىٰ نشرها... آمين.

والله من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل
وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

كتبه
محمد بن عوض بن عبد الغني
القاهرة - مصر - حفظها الله من كل سوء
١٧ صفر (١٤٣٥هـ)



العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

١٣١١ـ١٤٠٧هـ/١٨٩٢ـ١٩٨٩م

اسمه: محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي نسبة إلىٰ هلال، الجد الحادي عشر.

وكنيته: أبو شكيب؛ حيث سمىٰ أول ولد له علىٰ اسم صديقه «الأمير شكيب أرسلان».

مولده: ولد رحمه الله سنة (١٣١١هـ/ ١٨٩٢م) بقرية «النيضة القديمة» وهي من بوادي مدينة سلجماسة بالمغرب.

قلت: وهذا العام الذي ولد فيه الشيخ هو نفس العام الذي ولد فيه العلامة محمد حامد الفقي رحمهما الله.

تعليمه: قرأ القرآن علىٰ والده وحفظه وهو ابن عشر سنين، ثم جوَّده علىٰ الشيخ المقرئ أحمد بن صالح، ثم لازم الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي وتفقه علىٰ يديه في علوم الشرع حتىٰ صار ينيبه عنه في غيابه لإلقاء الدروس.

حصل علىٰ شهادة من جامع القرويين، ثم جاء إلىٰ القاهرة ١٣٤٠هـ، فالتقىٰ بالشيخ عبد الظاهر أبي السمح إمام الحرم المكي بعد ذلك، والشيخ

عبد الرزاق حمزة، وقد عمل معه بعد ذلك مدرسًا بالحرم المدني بالمدينة، كما لقي الشيخ محمد رشيد رضا منشئ «المنار»، والشيخ محمد الرمالي وهو من أول من دعىٰ إلىٰ السلفية في مدينة دمياط، والشيخ محمد حامد الفقي مؤسس أنصار السنة.

حضر دروس القسم العالي بالأزهر، ومكث بمصر سنة واحدة يدعو إلىٰ عقيدة السلف، بعد أن كان صوفيًّا تيجانيًّا، ولهذا قصة نرجو أن يتسع المقام لذكرها.

ذهب إلىٰ الهند لدراسة الحديث، وهناك أخذ يدرس الحديث والأدب العربي إلىٰ أن أجازه شيخه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب كتاب «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي».

وفي عام ١٣٤٣هـ توجه إلىٰ العراق، وفي مدينة البصرة التقىٰ بالعالم السلفي المحدث المحقق محمد بن أمين الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وهو غير العلامة المفسر الفقيه صاحب «أضواء البيان»، فزوَّجه ابنته وانتفع كثيرًا بمجالسته ومذاكراته، وأقام بالعراق ثلاث سنوات.

ثم توجه بعد ذلك إلىٰ المملكة العربية السعودية فأقام بها في ضيافة الملك عبد العزيز، وذلك بعد أن أعطاه الشيخ رشيد رضا وصيته قال فيها: إن محمد تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيد من علمه.

وفي السعودية عُيِّن مراقبًا للمدرسين بالمسجد النبوي لمدة سنتين، ثم مدرسًا في المسجد الحرام والمعهد السعودي لمدة سنة واحدة.

رحل إلىٰ الهند وعُيِّن رئيسًا لأساتذة الأدب العربي في كلية «ندوة العلماء» «بلكنو» مدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك سافر إلىٰ جنيف ونزل عند الزعيم المجاهد أمير البيان شكيب أرسلان، ولقد كانت لدىٰ الدكتور تقي الدين رغبة في إتمام دراسته الجامعية، فتوسط له الأمير شكيب أرسلان عند صديق له من الألمان فعودلت شهادته الحاصل عليها من القيروان بالشهادة الثانوية وبها التحق بجامعة «بون» الألمانية، فتعلم اللغة الألمانية في عام واحد وعين محاضرًا في جامعة بون، كما شغل أثناء إقامته في ألمانيا وظيفة مشرف ومراجع لغوي بالقسم العربي من الإذاعة الألمانية، ووجدها فرصة سانحة لفضح جرائم المحتلين لبلده المغرب من الفرنسيين والإنجليز، فأصدرت فرنسا قرارًا بنفيه نفيًا رسميًّا من بلده المغرب، كما عملت بريطانيا علىٰ نزع جنسيته العراقية التي كان قد تجنس بها سنة ١٩٣٤م.

في سنة ١٩٤١م حصل علىٰ درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم.

-عين بعد الحرب العالمية الثانية أستاذًا بجامعة بغداد كلية الملكة «عالية» إلىٰ أن قام الانقلاب العسكري فغادرها إلىٰ المغرب سنة ١٩٥٩، سافر إلىٰ تطوان بمساعدة الأستاذ المجاهد عبد الخالق الطريس رئيس حزب الإصلاح الوطني إذ ذاك.

- عين في سنة ١٩٥٩ أستاذا بجامعة محمد الخامس، ثم بفرعها بفاس إلىٰ أن سافر مرة أخرىٰ إلىٰ ألمانيا.

- وفي سنة ١٩٦٨ تلقىٰ دعوة من سماحة الشيخ الجليل عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك للعمل أستاذًا بالجامعة،

فترك المغرب الشيخ الهلالي وبقي يعمل بها إلىٰ سنة (١٩٧٤م) حيث ترك الجامعة الإسلامية وعاد إلىٰ مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة إلىٰ الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد ويجول في أنحاء المغرب ينشر دعوة السلف، كما كان من المواظبين علىٰ الكتابة في مجلة «الفتح» لمحب الدين الخطيب ومجلة المنار للشيخ رشيد رضا.

وله كتابات في مجلة الهدي النبوي أشهرها: القول السافر في صلاة المسافر، والعلم المأثور والعلم المشهور، واللواء المنشور في الرد علىٰ أصحاب الغرور المستنجيدين بالقبور، وقد نشرت زمن رياسة المجلة من الشيخ عبدالرحمن الوكيل.

صلته بالتيجانية:

نشأ الشيخ تقي الدين الهلالي صوفيًّا تيجانيًّا ثم انتقل بفضل الله وتيسيره من التصوف إلىٰ السلفية ومن كبار دعاتها، ومما يحكىٰ عنه في كتابه «تجربة ذاتية» أن الرجل الذي أدخله التيجانية هو الذي أخرجه منها.

- كما ذكر في الكتاب حوادث كثيرة حصلت له في مصر والعراق والمغرب ومحاولات قتله، وحواراته مع الصوفية والمبتدعة.

رحلاته لطلب العلم وخدمته للدعوة:

قرأ القرآن علىٰ والده وحفظه وهو ابن اثنتي عشر سنة، ثم جوَّده علىٰ الشيخ المقرئ أحمد بن صالح، ثم لازم الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي، فبدأ بحفظ مختصر خليل، وقرأ عليه علوم اللغة العربية

والفقه المالكي إلىٰ أن أصبح الشيخ ينيبه عنه في غيابه، وبعد وفاة شيخه توجه لطلب العلم علىٰ علماء وجدة وفاس آنذاك إلىٰ أن حصل علىٰ شهادة من جامع القرويين.

ثم سافر إلىٰ القاهرة ليبحث عن سنة المصطفىٰ ﷺ، فالتقىٰ ببعض المشايخ أمثال الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد الرمالي وغيرهم، كما حضر دروس القسم العالي بالأزهر، ومكث بمصر نحو سنة واحدة يدعو إلىٰ عقيدة السلف ويحارب الشرك والإلحاد.

وبعد أن حج توجه إلىٰ الهند لينال بغيته من علم الحديث، فالتقىٰ علماء أجلاء هناك فأفاد واستفاد.

ومن أَجَلِّ العلماء الذين التقىٰ بهم هناك المحدث العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»، وأخذ عنه من علم الحديث وأجازه، وقد قرّظه بقصيدة يُهيب فيها بطلاب العلم إلىٰ التمسك بالحديث والاستفادة من الشرح المذكور، وقد طبعت تلك القصيدة في الجزء الرابع من الطبعة الهندية؛ كما أقام عند الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني نزيل الهند آنذاك، وقرأ عليه أطرافا من الكتب الستة وأجازه أيضا.

ومن الهند توجه إلىٰ الزبير (البصرة) في العراق، حيث التقىٰ العالم الموريتاني السلفي المحقق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وهو غير العلامة المفسر صاحب «أضواء البيان» واستفاد من علمه.

ومكث بالعراق نحو ثلاث سنين ثم سافر إلىٰ السعودية مرورًا بمصر، حيث أعطاه السيد محمد رشيد رضا توصية وتعريفًا إلىٰ الملك عبد العزيز آل سعود قال فيها: «إن محمدًا تقي الدين الهلالي المغربي أفضل مَن جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه»، فبقي في ضيافة الملك عبد العزيز بضعة أشهر إلىٰ أن عُيِّن مراقبا للتدريس في المسجد النبوي، وبقي بالمدينة سنتين ثم نقل إلىٰ المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة وأقام بها سنة واحدة.

وبعدها جاءته رسائل من إندونيسيا ومن الهند تطلبه للتدريس بمدارسها، فرجح قبول دعوة الشيخ سليمان الندوي رجاء أن يحصل علىٰ دراسة جامعية في الهند، وصار رئيس أساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكنهو بالهند حيث بقي ثلاث سنوات تعلم فيها اللغة الإنجليزية ولم تتيسر له الدراسة الجامعية بها.

وأصدر باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة تلميذه الطالب مسعود عالم الندوي مجلة «الضياء».

ثم عاد إلىٰ الزبير (البصرة) وأقام بها ثلاث سنين معلمًا بمدرسة «النجاة الأهلية» المذكورة آنفا.

وبعد ذلك سافر إلىٰ جنيف بالسويسرا وأقام عند صديقه، أمير البيان شكيب أرسلان، وكان يريد الدراسة في إحدىٰ جامعات بريطانيا فلم يتيسر له ذلك، فكتب الأمير شكيب رسالة إلىٰ أحد أصدقائه بوزارة الخارجية الألمانية يقول فيها: «عندي شاب مغربي أديب ما دخل ألمانيا مثله، وهو

يريد أن يدرس في إحدىٰ الجامعات، فعسىٰ أن تجدوا له مكانا لتدريس الأدب العربي براتب يستعين به علىٰ الدراسة»، وسرعان ما جاء الجواب بالقبول، حيث سافر الشيخ الهلالي إلىٰ ألمانيا وعين محاضراً في جامعة «بون» وشرع يتعلم اللغة الألمانية، حيث حصل علىٰ دبلومها بعد عام، ثم صار طالبًا بالجامعة مع كونه محاضراً فيها.

وفي تلك الفترة ترجم الكثير من الألمانية وإليها، وبعد ثلاث سنوات في بون انتقل إلىٰ جامعة برلين طالبًا ومحاضراً ومشرفًا علىٰ الإذاعة العربية، وفي سنة ١٩٤٠م قدم رسالة الدكتوراه، حيث فند فيها مزاعم المستشرقين أمثال: مارتن هارثمن، وكارل بروكلمان، وكان موضوع رسالة الدكتوراه «ترجمة مقدمة كتاب الجماهر من الجواهر مع تعليقات عليه»، وكان مجلس الامتحان والمناقشة من عشرة من العلماء، وقد وافقوا بالإجماع علىٰ منحه شهادة الدكتوراه في الأدب العربي.

وأثناء الحرب العالمية الثانية سافر الشيخ إلىٰ المغرب، وفي سنة (١٩٤٧م) سافر إلىٰ العراق وقام بالتدريس في كلية «الملكة عالية» ببغداد إلىٰ أن قام الانقلاب العسكري في العراق فغادرها إلىٰ المغرب سنة ١٩٥٩م.

وشرع أثناء إقامته بالمغرب -موطنه الأصلي- في الدعوة إلىٰ توحيد الله ونبذ الشرك واتباع نهج خير القرون.

وفي هذه السنة (سنة ١٩٥٩م) عين مدرسًا بجامعة محمد الخامس بالرباط ثم بفرعها بفاس.

وفي سنة ١٩٦٨م تلقىٰ دعوة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك للعمل أستاذًا بالجامعة منتدبًا من المغرب فقبل الشيخ الهلالي وبقي يعمل بها إلىٰ سنة ١٩٧٤م حيث ترك الجامعة وعاد إلىٰ مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة إلىٰ الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد ويجول أنحاء المغرب ينشر دعوة السلف الصالح.

وكان من المواظبين علىٰ الكتابة في مجلة «الفتح» لمحب الدين الخطيب، ومجلة «المنار» لمحمد رشيد رضا رحم الله الجميع.

شيوخه:

من شيوخه رَحِمَهُ اللَّهُ:

- الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي.
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري.
- الشيخ محمد العربي العلوي.
- الشيخ الفاطمي الشراوي.
- الشيخ أحمد سوكيرج.
- الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني.
- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (غير صاحب «أضواء البيان»).
- الشيخ رشيد رضا.
- الشيخ محمد بن إبراهيم.
- بعض علماء القرويين.
- بعض علماء الأزهر.

مؤلفاته وإنتاجه العلمي:

أحب أولًا أن أوجه نظر القارئ إلىٰ أن الشيخ الهلالي كان شاعرًا مجيدًا للشعر، له قصائد كثيرة، ومؤلفات الشيخ تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرة جدًّا وجمعها ليس بالأمر الهين؛ لأنها ألفت في أزمنة مختلفة وبقاع شتىٰ، ومنها:

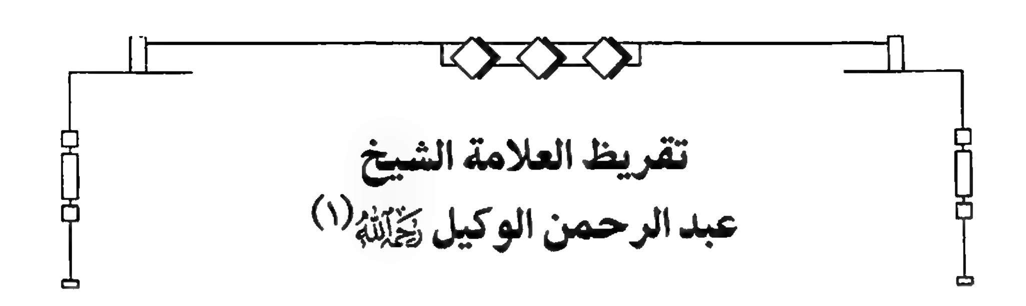
- الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري، المجلد الأول فقط.
- والإلهام والإنعام في تفسير الأنعام.
- ومختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل.
- والهدية الهادية للطائفة التيجانية.
- والقاضي العدل في حكم البناء علىٰ القبور.
- والعلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في الرد علي المستنجدين بالمقبورالقبور-كتابنا هذا-.
- آل البيت ما لهم وما عليهم.
- حاشية علىٰ كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.
- حاشية علىٰ كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب.
- الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق.
- دواء الشاكين وقامع المشككين في الرد علىٰ الملحدين.
- البراهين الإنجيلية علىٰ أن عيسىٰ داخل في العبودية وبريء من الألوهية.

- فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني.
- فضل الكبير المتعال (ديوان شعر).
- أسماء الله الحسنىٰ (قصيدة).
- الصبح السافر في حكم صلاة المسافر.
- العقود الدرية في منع تحديد الذرية.
- الثقافة التي نحتاج إليها (مقال).
- تعليم الإناث وتربيتهن (مقال).
- ما وقع في القرآن بغير لغة العرب (مقال).
- أخلاق الشباب المسلم (مقال).
- من وحي الأندلس (قصيدة).

وفاته:

في يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ الموافق ٢٢ يونيو ١٩٨٩م.

* * *



تقريظ العلامة الشيخ
عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

فهذا البحث القيم للأستاذ الكبير الدكتور/ **محمد تقي الدين الهلالي** الذي أقض مضاجع الصوفيين والملحدين في العراق وفي المغرب، حتىٰ حاول هؤلاء قتله في المغرب، لولا أن قيَّض اللهُ له من هتك الستر عن مؤامرتهم الدنيئة، فنجَّاه الله ليظل سيفًا مصلتًا علىٰ أعناقهم.

والقارئ لبحث الأستاذ الجليل يتبيَّن أن الضلالة الحاقدة هي عين الضلالة الحاقدة الجاحدة في كل مكان..

ولِمَ لا؟

وهي ميراث طغاة عن طغاة!!

ميراث صوفي عن صوفي!!

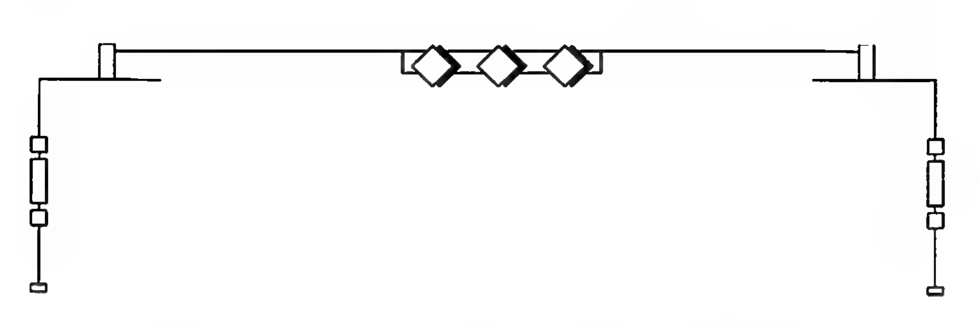
وفق الله الدكتور الجليل إلىٰ القضاء علىٰ بغيهم في المغرب الشقيق.

عبد الرحمن الوكيل(٢)

---

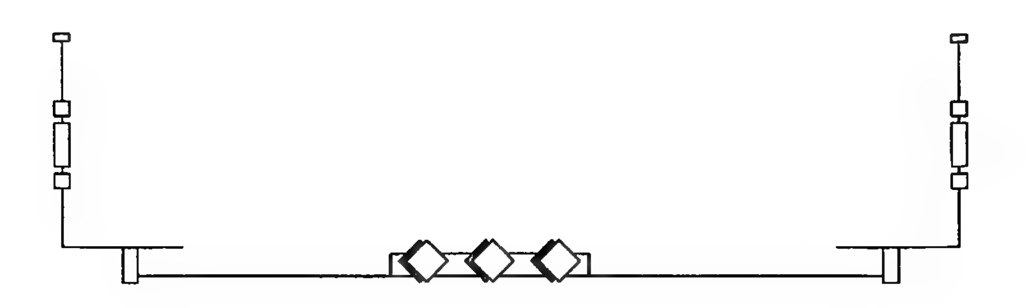
(١) «مجلة الهدي النبوي» العدد (٣)، المجلد (٣٠)، ربيع الأول سنة (١٣٨٥هـ).

(٢) وقد قرظ أيضًا العلامة تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة «مفتريات» للعلامة عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ ونشرها ببلاد المغرب، والعلم رحمٌ بين أهله.



العلم المأثور والعلم المنصور واللواء المنشور
في
الرد على أهل الغرور المستنجدين بالمقبور

بقلم الدكتور
محمد تقي الدين الهلالي







المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب هدًىٰ وذكرىٰ لأولي الألباب، ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، لينذر من كان حيًّا ويحق القول علىٰ الكافرين، والصلاة والسلام علىٰ محمد خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، هاديًا ومبشرًا للمؤمنين، وأوحىٰ إليه أن يتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فقد سألتني -أيها الأخ الكريم، والصديق الحميم- أن أجمع رسالةً تشتمل علىٰ نبذة كافية لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد فيما يتعلق ببناء القباب والمساجد علىٰ قبور الصالحين وغير الصالحين، وما ورد عن النبي ﷺ من النهي والتحذير والوعيد الشديد لمن فعل ذلك؛ لعل الله أن يفتح بها آذانًا صمًّا وعيونًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وأن ينفع بها المسلمين عامةً، وإخواننا أهل المغرب خاصة؛ فإنهم قوم عندهم إيمان وتدين وشجاعة، ولكن الجهل قد فتك بهم فتكًا ذريعًا، ومهّد السبيل للمضلين الذين يطلبون المال والجاه والإمامة والملك بالدين والعلم،

ويخدعون ضعفاء العقول بما يزخرفون لهم من الأقوال والأشكال، فيستعبدونهم، ويسلبون أموالهم وعقولهم وأديانهم، ويستعملون لذلك حيلًا ووسائل كثيرةً يقعون بها في حبائلهم.

وقد تلقَّيت اقتراحك بالقبول، وجمعت في هذه الرسالة -علىٰ صغر حجمها- ما فيه تبصرة وذكرىٰ لكل عبد منيب، وإرشاد لكل ضال، وشفاء لكلِ جاهلٍ، ومن لم يجعل الله له نورًا، فما له من نور.

ولا يخفىٰ علىٰ ألمعيتك أن أهل المغرب كانوا علىٰ صراط مستقيم في عقائدهم وعباداتهم، إلىٰ أن غزتهم العقائد الكلامية المبتدعة في القرن الخامس وما بعده؛ فصدتهم عن سواء السبيل، ثم نشأ فيهم الغلو في الصالحين وفي قبورهم في زمان بني مرين، ففتح عليهم باب جديد من الضلال والشقاء، وعمت هاتان البدعتان علماءهم وعقلاءهم، وفتنوا بهما فتنةً عظيمة، إلا من رحم ربك، وقليل ما هم.

ولم يخلُ المغرب في تلك الأزمنة كلها من علماء محققين، مخلصين لله، ناصحين لعباد الله، ولكنهم لقلتهم خفي أمرهم علىٰ أكثر الناس.

وكان لهم ظهور في الجملة إلىٰ زمان السلطان الإمام سليمان العلوي -رحمه الله رحمةً واسعةً-، وهو من هؤلاء المصلحين، ورسالته المدرجة في كتاب «الاستقصاء» التي وجهها إلىٰ علماء الأمة وخطبائها وواعظيها وعامتها، وأمر أن تُتْلىٰ علىٰ المنابر، لا تُبْقِي أدنىٰ ريب فيما ذكرنا.

والذي يناسب رسالتنا هذه هو الكلام في فتنة القبور، وقد انتشرت هذه الفتنة انتشارًا عظيمًا منذ عهد بني مرين في المدن والقرىٰ، وحتىٰ في البادية، وكثر اجتماع الجهَّال عندها واتخاذها أعيادًا يحجون إليها، وينذرون لها النذور، ويذبحون لها الذبائح، ويقربون لها القرابين؛ فصار لكل بلد -وإن صغر- طائفة من القباب والأضرحة، لا يُحْصَىٰ عددها، ولا ينادىٰ وليدها، وشاعت عبادة المدفونين فيها بالطواف، والتقبيل، والتمسح، والركوع، والتعلق بالأستار، والتمرغ، والبكاء، والتضرع، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمحبة البدعية الشركية، وقد بالغ السدنة والمنتسبون إلىٰ من بنيت عليه تلك القباب، إما ببنوة صادقة أو كاذبة، أو بكونهم عبيدًا أو خدامًا لهم، أو بأنهم أول من بنىٰ ذلك المقام، إلىٰ غير ذلك.

بالغ هؤلاء في زخرفتها بنصب التوابيت وسترها بستور الحرير، وأحيانًا يجعلون عليها شاخصًا عليه عمامة وبرنس، وهذا هو الصنم بعينه، فالتابوت والقبة وثن، والشاخص صنم، ويزينون أرضها وجدرانها وسقفها بالنقوش، وإيقاد الثريات الملونة الجميلة، وتعليق أنواع المصابيح والتحف، وفرش أرضها بالزرابي(١)، وإيقاد الأنوار، وكثرة البخور والطيب، مما زاد علىٰ زخرفة كنائس النصارىٰ.

وكل ذلك مما يملأ قلوب الجهال روعةً وعظمةً وخوفًا، ويزيد

---

(١) هي السجاجيد.

السدنة علىٰ ذلك بأكاذيب يلفقونها علىٰ أنها كرامة لصاحب الضريح، فيتخذها الجهال قضايا مسلمةً، وتصبح عندهم عقائد ثابتةً يؤمنون بها أكثر من إيمانهم بالله ورسوله.

ومنذ كثرت هذه القباب وعبادها ومواسمها وأعيادها كثر الفساد باختلاط الرجال والنساء في تلك الأعياد، وظهرت الفواحش، فازداد القوم فتنةً علىٰ فتنتهم وضلالات علىٰ ضلالهم، وصار من بقي فيه بقية إخلاص وتقوىٰ من العلماء لا يتجرءون علىٰ إعلان الإنكار، وإنما يهمسون به همسًا لبعض أصحابهم، أو يودعونه كتبهم.

ومنذ ذلك العهد ضعف أمر الجهاد، وأخذ العدو يجتاح أرض المسلمين بلدًا بلدًا، وكلما ازدادوا عبادةً للقبور، وغلوًّا فيها، واستغاثةً بأهلها توالت عليهم الهزائم، وخارت منهم العزائم، حتىٰ صاروا عبيدًا أرقاء لأعدائهم، ولم تبق لهم دنيا ولا دين، فصاروا يمنون أنفسهم؛ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء:١٢٠].

وصارت شياطينهم تسليهم إذا ضربهم شباب الأوربيين بالنعال علىٰ القذال[١]، تقول لهم: لا بأس، كلوا هذه النعال واصبروا؛ فالأولياء راضون عنكم؛ فإنكم مخلصون في خدمتهم، تلهجون بأسمائهم في الليل والنهار، وفي القيام والقعود، وجزاؤكم الجنة في الدار الآخرة، وقد اتفق

---

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس، وجمعه: أقذلة وقذل.

الأولياء علىٰ أن يهبوا أرض المسلمين وحكمها والتصرف فيها للأوربيين، وما أراده الأولياء لا يرد، فاصبروا حتىٰ يأتي صاحب الوقت؛ فهو الذي يرفع عنكم هذا المقت، وحينئذٍ تسيل مدافعهم بالماء، وتخر طائراتهم من السماء، فقبَّح الله عقولًا يبلغ بها السخف، ويطمع فيها الشيطان إلىٰ هذا الحد.

أما قرءوا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٧٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [آل عمران:١٦٠].

وقوله تعالىٰ في السورة نفسها: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

فمن خذله الله في الدنيا، وجعله أسفل سافلين، وأذل الأذلين، ومنعه النصر والعزة والغلبة والخلافة في شيء من الأرض، ولو في عقر داره، كيف يكون من أولياء الله الصالحين، بل كيف يكون من المؤمنين؟! وقد

صرَّح القرآن بنفي الإيمان عنه: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ [النساء:٩٨، ٩٩].

ألم تروا ما جرىٰ عليكم في زمان حكومة «بيتان»(١)، فكان الألمانيون يحكمون في شرذمة الفرنسيين القاطنين في المغرب، ويستعبدونهم ويستخدمونهم، وتلك الشرذمة من الفرنسيين تحكم فيكم وتذيقكم صنوف العذاب، فهل كنتم في ذلك الوقت من أولياء الله، ومن أهل الجنة والكرامة عند الله؟!

وهل كان الأولياء والقطب الذي تدعون وجوده راضين بحالكم، وقد سخط الله عليكم، ومنعكم ثمرة الإيمان؛ لأنكم لستم بمؤمنين، ومن سخط الله عليه فلا يرضىٰ عنه إلا الشيطان، أما أولياء الرحمن فإنهم يتبرءون منه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة:١٦٦].

ومن الغريب أن عقيدة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان في مسألة البناء علىٰ القبور بقي لها وجود ورواية يرويها الآخر عن الأول في بعض بلاد المغرب إلىٰ زماننا هذا.

فمن ذلك ما يرويه العامة عن العامة في قبر الشيخ عبد السلام بن

---

(١) كان يحكم فرنسا بعد هزيمتها الساحقة من الألمان أيام الحرب العالمية الأخيرة.

مشيش الإدريسي[١]؛ فإن الناس لا يزالون يروون عنه عامةً عن عامة أنه لا يحب البناء علىٰ قبره، وتعظيم أهل المغرب كلهم له لا يختلف في ذلك اثنان، ملوكهم وعلماؤهم، ولم يتجرأ أحد علىٰ مخالفة هذه الرواية، ولم تبن عليه قبة ولا شيء، وهي حجة عليهم لو كانوا يعقلون، وكذلك ما يروىٰ عن جدنا عبد القادر بن هلال الحسيني، المدفون عند سور قريته بالغرفة من (سجلماسة)، فمع ما تواتر في تلك البلاد من صلاحه وولايته وتعظيم الناس له في حياته وبعد موته، ولا يزال قبره إلىٰ الآن من المزارات المشهورة، ولم تبن عليه قبة؛ لرواية العامة عن العامة عنه أنه لا يحب البناء علىٰ القبور.

وكذلك الشيخ عبد العزيز المغراوي المدفون في مقبرة بالقرب منه لم تبن عليه قبة؛ لما استقر عند العامة أنه لا يحب البناء علىٰ القبور، وليس مقصودنا بذكر هذه الروايات الاستدلال بها علىٰ تحريم البناء علىٰ القبور، ولكننا سقناها للعبرة، وفيما يأتي من أحاديث النبي ﷺ غنية وكفاية لقوم يؤمنون.

واعلم أنني قصدت بجمع هذه الرسالة نصيحة لإخواني، ثم أبناء وطني، ولم أقصد بها التبجح والتصنيف، والتزمت ذكر عبارات الأئمة المحققين في شرح الأحاديث واستنباط الأحكام منها، وأكثرت النقل من كلام الإمام عبد الرحمن بن حسن الخرجي رحمه الله، ثم من كلام ابن

(١) هذا صاحب الصلاة المشهورة باسمه، وقد نعق فيها بوحدة الوجود نعيقًا صريحًا.

القيم وغيرهما،

وقد أشرت إلىٰ ذكر أسمائهم في الغالب، ولم أستعمل عبارتي إلا عند الحاجة إليها عندما يعرض لي معنًىٰ لم أجد فيه كلامًا لأحد الأئمة أو وجدت فيه كلامًا، ولكنني رأيته مطولًا فاختصرته، أو مغلقًا فأوضحته، وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، والله يوفقنا جميعًا في القول والعمل.

ثم اعلم أننا لا نريد بهذا الكتاب إلقاء الفتنة بين الناس، ولا الطعن في أحد من أهل القبلة، كيف ونحن الآن في أشد الحاجة إلىٰ التعاون مع كل من ينتسب إلىٰ الإسلام، بل مع كل مَن يسالم الإسلام؛ لكثرة أعدائه، وقلة أوليائه في هذا الزمان، ولكننا نعلم يقينًا أن من النصح للمسلمين السعي في تطهير عقائدهم وتوجيههم إلىٰ اتباع القرآن والرسول والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

فإن ما وعد الله به المسلمين من النصر والسعادة لا يتحقق بكثرة العدد، بل بتحقق التوحيد والاتباع[1]، كما قال تعالىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة:٢٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠].

---

(١) هذا كلام جميل بالحق، جميل بالوضوح، فهل يتدبر الذين ينابذون ما ندعو إليه.

ونحن معترفون بأن الدعوة إلىٰ الحق يجب أن تكون بالتي هي أحسن قولًا ونيةً، ولا تساء النية والقول إلا لمن ظهر عناده وإعراضه وصدوده عن الحق بعدما تبين له لغرض دنيوي حقير، وهذا أيضًا لا ينبغي أن يوصف بأكثر مما وصفه الله في كتابه والرسول في حديثه.

وإذا حسنت نية المخالف في غير التوحيد واتباع الرسول، فإننا نتعاون معه فيما اتفقنا من الحق، ونرجو أن يهديه الله لما خفي عليه منه، وفي الصحيح مرفوعًا: «يَسِّروا ولا تعسِّروا، وبشروا ولا تنفروا»[(١)].

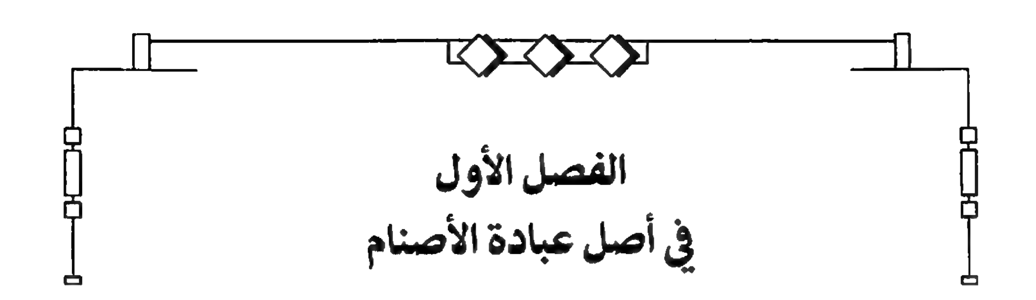
والله يهدي إلىٰ صراط مستقيم.

وسمَّيت هذه الرسالة: «العِلم المأثور، والعَلَم المنصور، واللواء المنشور في الرد علىٰ أهل الغرور، المستنجدين بالمقبور».

والله أسألُ أن ينفع بها مؤلفها، وسائر المسلمين، والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.



الفصل الأول
في أصل عبادة الأصنام

قال الله تعالىٰ حكايةً عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣].

أخرج البخاري في «صحيحه» عن ابن عباس[١] في تفسير هذه الآية قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما ودٌّ: فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع: فكانت لهذيل، وأما يغوث: فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق: فكانت لهمدان، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذي كلاع، وهي[٢] أسماء رجال صالحين من قوم نوح ﷺ، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعْبد، حتىٰ إذا هلك أولئك، ونُسخ العلم عُبدت»، وكذا روي عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو من هذا.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «وكانت هذه أصنام تعبد في

---

(١) برقم (٤٩٢٠).

(٢) أي: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

زمان نوح».

وروىٰ ابن جرير عن محمد بن قيس: «أن يعوق ونسرًا كانوا قومًا صالحين، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فقال أصحابهم: لو صوَّرناهم كان أشوق لنا إلىٰ العبادة إذا ذكرناهم لصورهم؛ فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسْقَوْنَ المطر. فعبدوهم».

وروىٰ جماعة من الأئمة: أنها أسماء قوم صالحين من قوم نوح، كان الناس يعظمونها ويقتدون بهم، فلما ماتوا حزنوا عليهم، وعكفوا علىٰ قبورهم، ثم زيَّن لهم الشيطان أن يصنعوا لهم تماثيل تذكرهم بهم فصنعوها، ولم يعبدوهم حتىٰ انقرض ذلك الجيل، وذهب أهل العلم، وكثر الجهل، وزادوا في الغلو، حتىٰ عبدوهم من دون الله.

قال ابن كثير في «تفسيره» بعدما روىٰ آثارًا في معنىٰ ما تقدم: «وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ [نوح:٢٤] يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقًا كثيرًا؛ فإنه قد استمرت عبادتها في القرون إلىٰ زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم.

وقد اتفق المحققون من أهل العلم علىٰ أن أصل عبادة الأصنام الغلو في الصالحين، وتعظيم قبورهم، واتخاذ المساجد عليها، وسيرد عليك من كلامهم ما يثلج صدرك، ويكشف عنك كل لبس، ويجلي لك الحق، إن كنت من أهله».

- قال القرطبي: «وإنما صوَّر أوائلهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، فوسوس إليهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما زال الشيطان يوحي إلىٰ عُبَّاد القبور، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مُستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلىٰ الدعاء بها والإقسام علىٰ الله بها؛ فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه، أو يسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ دعائه[1] وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا عليه القناديل والستور، ويطاف به، ويُسْتَلم ويقبل، ويحج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلىٰ دعاء الناس إلىٰ عبادته واتخاذه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا مما قد علم بالاضطرار في دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ، من تجديد التوحيد، وألا يُعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلىٰ أن من نهىٰ عن ذلك فقد تنقَّص أهل هذه الرتب العالية، وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا

(١) لعله أفرد الضمير في هذا وما بعده بقصد إعادته علىٰ أحد، وإلا فالوجه أن يقول: دعائها، وكذا ما بعده.

قدر، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر:٤٥].

وسرىٰ ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلىٰ العلم والدين، حتىٰ عادَوْا أهل التوحيد، ورموا بالعظائم، ونفَّروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبىٰ الله ذلك: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]». انتهىٰ.

وروىٰ البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١).

وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلو**»(٢).

- ومعنىٰ الإطراء: الغلو، الزيادة في تعظيم المخلوق إلىٰ أن يُوصف بصفات الخالق المنافية للعبودية الشاملة لجميع الخلق، قال تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم:٩٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن النسائي».

وأخرج مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطِّعون». قالها ثلاثًا[١].

قال الخطابي: «المتنطع: المتعمق في الشيء، المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقًا، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب».

قال الشيخ أحمد بن عبد الحليم: «فهذا جاهل ضال».

وقد استعمل «المتنطع» في كل متعمق قولًا وفعلًا.

وقوله: «قالها ثلاثًا»[٢]. مبالغة في التعليم والإرشاد.

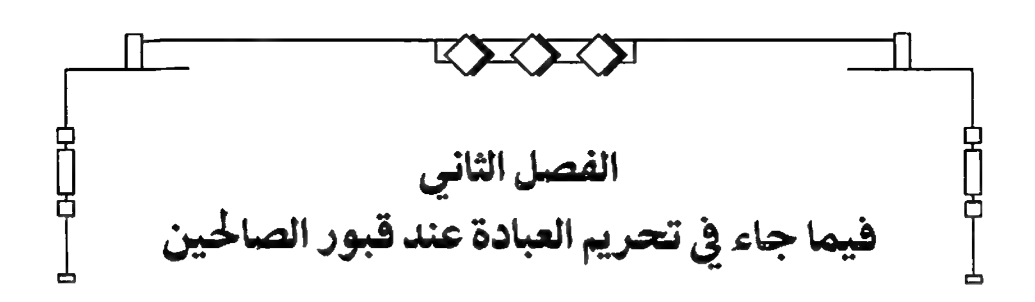
فجزاه الله عنا أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن قومه، ورسولًا عن أمته.

* * *

---

(١) برقم (٢٦٧٠).

(٢) أي: في حديث: «هلك المتنطعون».



الفصل الثاني
فيما جاء في تحريم العبادة عند قبور الصالحين

اعلم -وفقك الله لتوحيده- أنه وردت أحاديث وآثار عن النبي ﷺ وأصحابه لا تبقي شكًّا في تحريم اتخاذ قبور الصالحين مواضع للعبادة، وإن كانت العبادة خالصة لله تعالىٰ؛ لأن تحرِّي العبادة عند قبور الصالحين يُفضي إلىٰ الغلو فيهم، ومجاوزة الحد في تعظيمهم؛ وذلك يفضي إلىٰ عبادتهم واتخاذ قبورهم أوثانًا تعبد من دون الله، ودونك البيان:

١- روىٰ البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»(١).

وفي رواية: «إن أم حبيبة وأم سلمة(٢) ذكرتا لرسول الله ﷺ...» إلخ.

وفي هذه الرواية أنهما ذكرتا لرسول الله ﷺ من حسن تلك الكنيسة وتصاوير فيها، فقال: «**أولئك**» -بكسر الكاف- خطاب للمرأة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) أم حبيبة وأم سلمة من أمهات المؤمنين، وكلتاهما ممن هاجر إلىٰ الحبشة قبل التزوج برسول الله ﷺ.

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**أولئك شرار الخلق عند الله**». يقتضي تحريم اتخاذ قبور الصالحين وما حولها أماكن للعبادة، ولقد لعن الرسول ﷺ من فعل ذلك، وذكر أن غضب الله اشتد عليهم كما سيأتي.

فأي خير في العبادة التي توجب لصاحبها هذه الصفات: أن يكون من شرار الخلق عند الله، أو من المتبعين لهم، وأن يكون ممن اشتد عليهم غضب الله، وأن يكون ممن لعنهم رسول الله ﷺ أو ممن يقتدي بهم بعد تحذير الرسول ﷺ من الاقتداء بهم.

واعلم أن أصحاب تلك الكنيسة جمعوا بين فتنتين: فتنة العبادة عند قبور الصالحين، وفتنة نصب تماثيلهم وصورهم، وكلتا هاتين الفتنتين من موجبات غضب الله.

قال القرطبي: «وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها، ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك سدًّا للذريعة المؤدية إلىٰ ذلك».

قال العلماء: وهذه العلة هي التي من أجلها نهىٰ رسول الله ﷺ عن اتخاذ المساجد علىٰ القبور هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم، إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك؛ فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك.

فإن الشرك بقبر الرجل الذي يُعْتَقَدُ صلاحه أقرب إلىٰ النفوس من الشرك بخشبة أو حجر؛ ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون، ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادةً لا يفعلونها في بيوت الله وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجون في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبيُّ ﷺ مادتها حتىٰ نهىٰ عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهىٰ عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس، فنهىٰ أمته عن الصلاة حينئذٍ، وإن لم يقصدوا ما قصده المشركون سدًّا للذريعة.

وأما إذا قصد الرجلُ الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ورسوله والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله؛ فإن المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه باضطرار من دين الرسول ﷺ أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد.

- فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه، وقد صرَّح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها؛ متابعةً منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة،

والذي ينبغي أن تُحْمَل عليه كراهة التحريم إحسانًا للظن بالعلماء، وألا نظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه.

٢- أخرج البخاري ومسلم أيضًا عن عائشة رضي الله عنها لما نُزِل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يحذر ما صنعوا[1]، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

معاني هذا الحديث:

«**لما نزل**» بضم النون وكسر الزاي؛ أي: نزل به ملك الموت.

و«**الخميصة**»: كساء له أعلام[2]، كان النبي ﷺ متغطيًا به.

«**فإذا اغتم بها**»؛ أي: أصابه غم وضيق نفس ولم توافقه، كشفها عن وجهه فقال وهو في تلك الحال من المرض الشديد والاحتضار ونزول الموت: «**لعن اللهُ اليهود والنصارى...**» إلخ.

ولماذا لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارى؟ فهل كان قصده مجرد السب والشتم؟ كلا وحاشى؛ فإنه في جميع أحواله لا يتكلم إلا لهداية الأمة ولتبليغ ما أمر الله بتبليغه، كما قال تعالى في سورة النجم: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٣، ٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) أي: كساء من خزٍّ أو صوف فيه خطوط، وقيل: لا تُسَمَّىٰ خميصةً إلا أن تكون سوداء معلمةً.

كيف وقد صرَّح الحديث نفسه ببيان السبب والعلة لهذا اللعن في تلك الحال التي لا يشغل فيها فكره ولسانه إلا بأهم الأمور وأحسن النصائح والوصايا، فإنما قال ذلك تحذيرًا لأمته ونصحًا لهم وخوفًا عليهم أن يفعلوا ذلك الأمر، وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد بتحري العبادة عندها؛ لعلمه أن ذلك هو سبب الضلال، وهو الموجب لغضب الله ولعنته للأمم التي تفعله، وإخراجها من رحمته ونعمته.

فكيف يتساهل عاقل لنفسه ولأمته، بل ناصح لله ولرسوله ولكتابه في هذا الأمر العظيم، ويلتمس لنفسه ولأمثاله من المفتونين الفاتنين المعاذير الواهية التي هي أوهىٰ من بيت العنكبوت؟!

وقوله: «غير أنه خشي» رُوِيَ بفتح الخاء وكسر الشين، وروي أيضًا بضم الخاء، فعلىٰ الرواية الأولىٰ يكون معناه: إنما حذَّر رسول الله ﷺ أمته عند موته من سلوك سنة أهل الكتاب في اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد؛ لأنه خاف علىٰ أمته عند موته أن تفعل بعده مثل ذلك.

وعلىٰ رواية الضم خاف أصحابه من بعده أن يتخذ قبره مسجدًا ومكانًا للدعاء والعبادة لما فهموه من تحذيره -عليه الصلاة والسلام-، فلم يبرزوا قبره، أي: لم يدفنوه في البقيع مثلًا، أو في مكان آخر خارج البلد خوفًا علىٰ الجهال الفتنة الموصلة إلىٰ الشرك الموصل إلىٰ الشقاء الأبدي في الدنيا والآخرة.

وقوله: «يحذِّر ما صنعوا». يعني: يحذِّر أمته من هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارىٰ في قبور أنبيائهم؛ فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلىٰ الشرك، ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعليه تحذيرًا لأمته، أن يفعلوه معه ﷺ، ومع الصالحين من أمته، قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادة لله ولرسوله.

قال القرطبي في هذا الحديث: «وكذلك لقطع الذريعة المؤدية إلىٰ عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام، قال: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأعلموا حيطان تربته، وسدوا المداخل إليها وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة، إن كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتىٰ التقيا علىٰ زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتىٰ لا يتمكن أحد من استقبال قبره».

أقول: وإذا تأملنا هذا الحديث وتدبرناه وجدنا فيه فوائد كثيرةً، وجواهر نفيسةً، وأنوارًا ساطعةً، توضح أصل العقيدة الإسلامية، والدعوة المحمدية، منها: أن من بنىٰ لله مسجدًا يعبد الله فيه علىٰ قبر رجل صالح بنية حسنة يكون عاصيًا للرسول، وسالكًا سبيل المغضوب عليهم؛ لأن ذلك ذريعة مفضية إلىٰ الغلو المفضي إلىٰ الشرك، ومنها أن اتخاذ المساجد علىٰ القبور من سنن اليهود والنصارىٰ في أنبيائهم وصالحيهم، وقد أُمرنا بمخالفتهم في مثل ذلك،

ومنها لعن النبي ﷺ لفاعل ذلك تخويفًا لأمته وإنذارًا لهم، ليعلموا أنه أمر عظيم فينتهوا عنه.

٣- أخرج مسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل؛ فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»(١).

توضيح معنى الحديث:

«أبرأ إلىٰ الله»: أمتنع عما لا يجوز لي أن أفعله.

«الخليل»: هو المحبوب غاية الحب، من الخلة بضم الخاء، وهي أعلىٰ من المحبة، فالخليل: هو الذي تخللت مودته في القلب ملأته وشغلته عن غيره.

قال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني ... ولذا سمي الخليل خليلا

قال القرطبي: «وإنما كان ذلك لأن قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلة غيره».

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما ما يظنه بعض الغالطين أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله، ومحمدًا حبيب الله فمن جهلهم؛ فإن المحبة عامة، والخلة خاصة، وهي نهاية المحبة، وقد أخبر النبي ﷺ أن الله قد اتخذه خليلًا، ونفىٰ أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة وأبيها ولعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وغيرهم رضي الله عنهم، وأيضًا فإن الله يحب التوابين ويحب المطهرين، ويحب الصابرين، وخلته خاصة بالخليلين».

وقوله: «**ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر**»[1]؛ فيه فضل الصديق علىٰ غيره من الصحابة، وفيه الرد علىٰ من جحد فضله.

ففي هذا الحديث النهي المؤكد بمؤكدات عديدة عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد؛ أي: أماكن للعبادة، في آخر حياته عليه الصلاة والسلام.

وفي حديث عائشة: لعن من فعل ذلك، وهو عليه الصلاة والسلام في سياق الموت؛ فإن لم يكن هذا كافيًا لتحريم ذلك العمل وكونه من الكبائر فلا يوجد نهي يثبت به حكم، ومن تجاسر علىٰ تأويل هذه النصوص وتحريفها فقد أبعد النجعة، وبلغ في تحريف الكلام عن مواضعه مبلغًا عظيمًا لا يبقىٰ معه انتفاع بعقل ولا علم ولا نصوص، وأن دلالتها كالشمس في رابعة النهار.

---

(١) تقدم.

وقد نهىٰ عن طاعة هؤلاء فقال في سورة الكهف: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

وقال تعالىٰ في سورة ص: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص:٢٦].

وما أحسن قول الشاعر:

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدىٰ ... ولكنما الأهواء عمت فأعمت

وقال غيره:

يأبىٰ الفتىٰ إلا اتباع الهوىٰ ... ومنهج الحق له واضح

فمن كان من أهل الصدق في الإيمان والإخلاص لله تعالىٰ في القصد والعمل يعرف الحق بنص واحد من هذه النصوص، ومن اتبع هواه فأعماه، (والهوىٰ يعمي ويصم) لم تنفعه ذكرىٰ، وإن كانت صادرة من خاتم النبيين إليه مشافهة.

قال بعض المحققين إتمامًا للكلام علىٰ حديث الباب: فكيف يسوغ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين أن تعظم القبور ويبنىٰ عليها، ويصلىٰ عندها وإليها؟!

هذا أعظم مشاقة ومحادة لله ولرسوله ﷺ لو كانوا يعقلون!

فتقرر واستبان أن الصلاة عند القبور، أو عند القبر الواحد، أي قبر كان؛ محرمة ومعصية، بل محادة لله، سواء بنىٰ عليه مسجدًا أو لم يبن، والمسجد

هو موضع السجود والذكر والعبادة والدعاء مطلقًا، سواء أكان خطًّا أو جدارًا أو لا يحده شيء.

٤- أخرج أحمد وأهل السنن وصححه ابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبالجملة، فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه، صيغة لا تفعلوا، وصيغة إني أنهاكم عن ذلك، ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم من (لا إله إلا الله).

فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمىٰ التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه، فأبىٰ المبتدعون إلا معصية لأمره، وارتكابًا لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين؛ يعني: ووسوس إليهم الشيطان قائلًا: وكلما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوًّا كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله، من هذا الباب دخل الشيطان علىٰ عُبَّاد يغوث ويعوق ونسر، ودخل علىٰ عباد الأصنام منذ كانوا إلىٰ يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٧٤٥)، وأحمد (١١٨٠١)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، فهدىٰ الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها، من العبودية وسلب خصائص الإلهية». انتهىٰ كلام ابن القيم.

وممن علل بخوف الفتنة بالشرك الإمام الشافعي، وأبو بكر الأثرم، وأبو محمد المقدسي، وشيخ الإسلام وغيرهم، وهو الحق الذي لا ريب فيه، فتبيَّن بما ذكرنا أن اتخاذ المساجد علىٰ القبور معصية لله ولرسوله، وليست من العبادات في شيء، سواء أبنىٰ مسجدًا حول القبر بقصد التبرك به، أو بدون قصد، أو لم يبن مسجدًا، وإنما اتخذ القبر وما حوله مكانًا للدعاء والصلاة، فإنه يصير بذلك مسجدًا كما قال النبي ﷺ: **«جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»**[1]؛ أي: موضعًا للسجود والصلاة، ومعنىٰ ذلك أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، وقد أباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفًا عليهم وتيسيرًا، ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس.

٥- أخرج أحمد بسند جيد وابن حبان في «صحيحه» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٤٤)، وابن حبان (٦٨٤٧)، وابن خزيمة (٧٨٩)، وحسنه العلامة الألباني في «تحذير الساجد» (١/ ٢٦-٢٧).

قوله: «**إن من شرار الناس**» بكسر الشين جمع شرير.

وقوله: «**من تدركهم الساعة وهم أحياء**» مقدماتها، كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع.

قوله: «**والذين يتخذون القبور مساجد**» معطوف علىٰ خبر إن في محل نصب علىٰ نية تكرار العامل؛ أي: وإن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، أي: بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها، وتقدم في الأحاديث الصحيحة أن هذا من عمل اليهود والنصارىٰ، وأن النبي ﷺ لعنهم علىٰ ذلك تحذيرًا للأمة أن يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم مثل اليهود والنصارىٰ.

فما رفع أكثرهم بذلك رأسًا، بل اعتقدوا أن هذا الأمر قربة إلىٰ الله، وهو مما يبعدهم عن الله، ويطردهم عن رحمته ومغفرته.

والعجب أن أكثر من يدعي العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه ورغبوا في فعله، فلقد اشتدت غربة الإسلام، وعاد المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، نشأ علىٰ هذا الصغير، وهرم عليه الكبير!

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما بناء المساجد علىٰ القبور، فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث الصحيحة، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه.

وقال: «ولا ريب في القطع بتحريمه، ثم ذكر الأحاديث في ذلك...» إلىٰ أن قال: «وهذه المساجد المبنية علىٰ قبور الأنبياء والصالحين، أو الملوك، وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجب هدم القباب التي بنيت علىٰ القبور؛ لأنها أسست علىٰ معصية الرسول ﷺ، وقد أفتىٰ جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية، منهم ابن الجميزي والظهير والترميني وغيرهما».

قال القاضي ابن كج: «لا يجوز أن تجصص القبور، ولا أن يبنىٰ عليها قباب ولا غير قباب، والوصية بها باطلة».

وقال الأذرعي: «وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية، وإنفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه».

وقال القرطبي في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «نهىٰ أن يجصص علىٰ القبور أو يبنىٰ عليه»(١).

وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجص علىٰ القبور، وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه.

قال ابن رشد: «كره مالك البناء علىٰ القبور وجعل البلاطة

(١) أخرجه مسلم (٩٧٠).

المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول، أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة وهو مما لا اختلاف فيه».

وقال **الزيلعي** في «شرح الكنز»: «ويكره أن يبنىٰ علىٰ القبر. وذكر قاضي خان: أنه لا يجصص القبر ولا يبنىٰ عليه، لما روي عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عن التجصيص والبناء فوق القبر، والمراد بالكراهة -عند الحنفية رحمهم الله- كراهة التحريم، وقد ذكر ذلك ابن بجيم في «شرح الكنز».

وقال **الشافعي** رحمه الله: «أكره أن يعظم مخلوق بجعل قبره مسجدًا مخافة الفتنة عليه وعلىٰ من بعده».

وكلام الشافعي رحمه الله يبين أن مراد الكراهة كراهة التحريم، وجزم النووي رحمه الله في «شرح المهذب» بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في «شرح مسلم» نحوه أيضًا.

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابلة، صاحب المصنفات الكبار، كـ«المغني» و«الكافي» وغيرهما رحمه الله: «ولا يجوز اتخاذ المساجد علىٰ القبور؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ...**»[1] الحديث.

وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام، تعظيم الأموات واتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها». اهـ

---

(١) تقدم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما المقبرة فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، انقلبت تربتها أو لم تنقلب، ولا فرق بين أن يكون بينه وبين القبر حائل أو لا، لعموم الاسم وعموم العلة؛ ولأن النبي ﷺ لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا تنجس.

وبالجملة: فمن علل النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة، فهو بعيد عن مقصود النبي ﷺ، ثم لا يخلو أن يكون القبر قد بنىٰ عليه مسجدًا، فلا يصلي في هذا المسجد، سواء صلىٰ خلف القبر أو أمامه بغير خلاف في المذهب؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**»(١).

وخص قبور الأنبياء، لأن عكوف الناس علىٰ قبورهم أعظم، واتخاذهم مساجد أشد، وكذلك إن لم يكن عليه مسجد فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهي عن الصلاة عند القبور من أجلها؛ فإن كل مكان صلي فيه يسمىٰ مسجدًا، كما قال ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»(٢)، وإن كان موضع قبر أو قبرين.

قال بعض أصحابنا: لا يمنع الصلاة فيها؛ لأنه لا يتناولها اسم

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

المقبرة، وليس في كلام أحمد ولا بعض أصحابه الفرق، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر، وقد تقدم عن علي رضي الله عنه أنه قال: «لا أصلي في حمام ولا عند قبر».

فعلىٰ هذا ينبغي أن يكون النهي متناولًا تحريم القبر وفنائه، ولا تجوز الصلاة في مسجد بني في مقبرة، سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبر، أو كان مكشوفًا.

قال في رواية الأثرم: إذا كان المسجد بين القبور لا يصلىٰ فيه الفريضة، وإن كان بينها وبين المسجد حاجز، فرخص أن يصلىٰ فيه علىٰ الجنائز، ولا يصلىٰ فيه علىٰ غير الجنائز، وذكر حديث أبي مرثد عن النبي ﷺ: «لا تصلوا إلىٰ القبور»[1]، وقال: إسناده جيد». انتهىٰ.

ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك لاحتمل عدة أوراق، فتبين بهذا أن العلماء رحمهم الله بينوا أن علة النهي مما يؤدي إلىٰ ذلك من الغلو فيها وعبادتها من دون الله كما هو الواقع، والله المستعان.

وقد حدث بعد الأئمة الذين يعتد بقولهم أناس كثر في أبواب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدىٰ والعلم حجابهم، فقيدوا نصوص الكتاب والسنة بقيود أوهنت الانقياد، وغيروا بها ما قصده الرسول ﷺ بالنهي عن الصلاة فيها، وعللوه بتنجسها بصديد

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٢).

الموتىٰ، وهكذا كله باطل من وجوه:

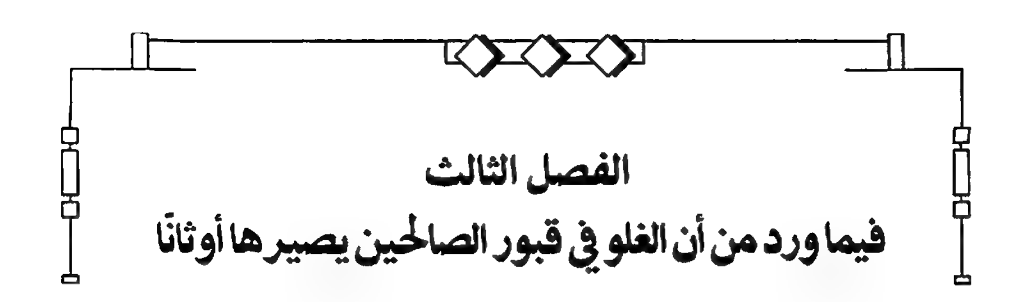
منها: أنه من القول علىٰ الله بلا علم، وهو حرام بنص الكتاب.

ومنها: أنا ما قالوه لا يقتضي لعن فاعله والتغليظ عليه، وما المانع له أن يقول: من صلىٰ في بقعة نجسة فعليه لعنة الله؟! ويلزم علىٰ ما قاله هؤلاء، أن النبي ﷺ لم يبين العلة، وأحال الأمة في بيانها علىٰ من يجيء بعده ﷺ، وبعد القرون المفضلة والأئمة، وهذا باطل قطعًا وعقلًا وشرعًا، لما يلزم عليه من أن الرسول ﷺ عجز عن البيان، أو قصر في البلاغ.

وهذا من أبطل الباطل؛ فإن النبي ﷺ بلغ البلاغ المبين، وقدرته في البيان فوق قدرة كل أحد، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

ويقال أيضًا: هذا اللعن والتغليظ الشديد، إنما هو فيمن اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وجاء في بعض النصوص ما يعم الأنبياء وغيرهم، فلو كانت هذه هي العلة لكانت منتفية في قبور الأنبياء، لكون أجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم؛ فإذا كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور الأنبياء بالنص، علم أن العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين قد نقلت أقوالهم، والحمد لله علىٰ ظهور الحجة، وبيان المحجة.

* * *



الفصل الثالث
فيما ورد من أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا

تقدم أن اتخاذ المساجد عند قبور الصالحين من أعظم الذرائع إلىٰ الغلو فيهم، وهو ذريعة توصل مباشرة بالشرك بالله، وتأمل هذا الحديث:

١- رویٰ مالك في «الموطأ» عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[١]. هذا الحديث رواه مالك مرسلًا، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم، ولم يذكر عطاء.

وله شاهد عند الإمام أحمد بسنده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، لعن اللهُ قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢].

---

(١) أخرجه مالك (٤١٤- يحيىٰ)، قال العلامة الألباني في «المشكاة» (٧٥٠): رواه مالك مرسلًا.

(٢) أخرجه أحمد (٧٣٥٢)، والحميدي في «مسنده» (١٠٢٥)، وصححه العلامة الألباني في «تحذير الساجد» (١١).

في هذا الحديث فوائد يجب تأملها:

الأولىٰ: سؤال النبي ﷺ ربه أن يصون قبره من أن تصل إليه أيدي المبتدعين الغلاة فتصيره وثنًا يعبد من دون الله.

الثانية: أن الله قد استجاب دعاءه فصان قبره من الشرك والابتداع، بأن وفَّق الصحابة والتابعين فبنوا عليه ثلاثة جدران، ليس لها منفذ ولا باب ولا كوة ولا غيرها، فلا يصل إليه بصر ولا يد.

الثالثة: يفهم من هذا الحديث أن قبر النبي أو الصالح إذا وصل إليه المشركون وغلوا فيه بالطواف والتمسح والتقبيل والابتهال والدعاء عنده وذبح الذبائح، ونذر النذور، صار ذلك القبر وثنًا بلا ريب، ومن هذا تعلم أن كثيرًا من قبور الصالحين قد صارت أوثانًا تُعبد من دون الله حقيقة، وهذا مشاهد بالعيان في كل مكان.

الرابعة: قوله: «لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١). عقب ذلك الدعاء دَلَّ دلالة واضحة علىٰ أن تحري الدعاء والعبادة عند قبور الصالحين هو الطريق الموصل إلىٰ اتخاذها أوثانًا بلا ريب، ولذلك نهىٰ عنه النبي ﷺ ولعن فاعله وكرر ذلك في مرضه الذي توفي فيه، ولم يغفل عنه حتىٰ الموت، فهل بعد هذا بيان؟ فبأي حديث بعده يؤمنون؟!

الخامسة: قوله ﷺ: «اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم

---

(١) تقدم.

مساجد»[١]، وفي رواية أبي سعيد: «**لعن الله قومًا...**» إلخ.

في رواية أبي هريرة أعظم برهان علىٰ تحريم اتخاذ المساجد عند قبور الصالحين، بل وتحري العبادة والدعاء عندها، وإن لم يتخذ مسجد مبني؛ لأن كل عمل يوجب غضب الله ويوجب لصاحبه اللعن فهو محرم.

فالعجب ممن يدعي الإيمان كيف يتعامىٰ عن هذه البراهين؟ ويتناقض في أقواله وأفعاله، فيرتكب العمل الملعون صاحبه، المشتد غضب الله عليه؟ ويريد من هذا العمل أن يكون وسيلة إلىٰ رضوان الله ومغفرته، فيكون كحالب تيس، ومبتغ في الماء جذوة نار، فنسأل الله العافية من اتباع الهوىٰ وعمىٰ البصائر، وما أحسن ما قاله الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية مشيرًا إلىٰ هذا الحديث:

ولقد نهانا أن نصير قبره	وثنًا حذار الشرك بالديان
ودعا بألا يجعل القبر الذي	قد ضمه وثنًا من الأوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه	وأحاطه بثلاثة الجدران
حتىٰ غدت أرجاؤه بدعائه	في عزة وحماية وصيان

واليوم قد أَلِف الناس اتخاذ المساجد عند قبور الصالحين، وزين لهم الشيطان ذلك حتىٰ صار أمرًا معتادًا معروفًا غير منكر، بل ذلك في

---

(١) تقدم.

كثير من المدن والقرىٰ، يكاد يكون شرطًا في بناء المسجد، فما بالك بمساجد أسست علىٰ معصية الرسول، كيف توصل أهلها إلىٰ رضوان؟ وكيف توجب لهم مغفرة الله؟ وكيف يستجاب دعاؤهم؟ وكيف ينصرون؟

ولقد أحسن الشيخ ابن حجر المكي الشافعي إذ قال في كتاب «الفتاوىٰ الحديثية»: إن هذه المساجد المبنية علىٰ القبور هي أحق بالهدم من مساجد الضرار الذي ذكره الله في القرآن -يعني: في سورة التوبة الآية (١٠٧).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير، تجري علىٰ الناس يتخذونها سنة، إذا غيرت قيل غيرت السنة»[1].

ولخوف الفتنة نهىٰ عمر عن تتبع آثار النبي ﷺ.

قال ابن وضاح: سمعت عيسىٰ بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها؛ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة. انتهىٰ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠]، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ

---

(١) أخرجه الدارمي (١٨٥) الحاكم (٤/ ٥٦٠)، وصححه بشواهده العلامة الألباني في «صحيح الترغيب» (١١١).

ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فرحم الله عمر، ما أعلمه بحقيقة دين الله الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ، وما أنصحه له، وما أعظم إخلاصه لله؛ فهذه الشجرة التي قطعها عمر جلس تحتها رسول الله ﷺ، بايع أصحابه تحتها وعاهدوه علىٰ القتال حتىٰ الموت في سبيل الله، وهذه الشجرة مذكورة في القرآن، قال تعالىٰ في سورة الفتح: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]؛ فأين هذه السيرة الطاهرة الطيبة والعقيدة التوحيدية الخالصة، من أحوال أهل هذا العصر السيئة وعقائدهم الفاسدة، وعبوديتهم للأشجار والأحجار والأبنية؟

وإني لأعرف أماكن بنيت عليها قباب ومساجد واتخذت أوثانًا يحج إليها الناس من أقاصي البلدان، ويسوقون إليها الأنعام ليذبوحها عندها تقربًا إلىٰ من سميت بأسمائهم ونسبت إليهم، وإن كانوا أشخاصًا وهميين مجهولين لا وجود لهم في الحقيقة، وإنما اعتمد من بنىٰ ذلك البناء علىٰ رؤيا تحملها بعض الدجاجلة، وعندنا بالمغرب أماكن كثيرة منها من هذا القبيل.

وفي الشرق والغرب أشجار وأماكن معلّمة بعلامات ككوم من الحجارة أو طرف كدية أو جبل، وهناك مياه حارة وباردة قد اتخذت

أوثانًا تعبد من دون الله بدون سبب، ولا ادعاء بصدق أو كذب.

وبمصر شجرة يتبرك بها الناس ويقصدونها من جميع الجهات لطلب الحاجات وشفاء الأمراض، وجعل العقيم ولودًا، والمرأة التي تلد الإناث تلد الذكور، وكانت تلك الشجرة -وقد تكون موجودة إلىٰ الآن- بقرب قرية تسمىٰ: (كفر عامر) والكفر معناه: القرية، فعزم بعض أهل العلم المحققين للتوحيد المتبعين لرسول الله ولخلفائه المقتدين بعمر بن الخطاب في قطعه لشجرة بيعة الرضوان، وعزم علىٰ قطع تلك الشجرة، فقصد إليها ليلًا، وبيده فأس، فأخذ يعمل في قطعها حتىٰ طلوع الفجر، فلم يتم قطعها؛ لأنها عظيمة، ولكنه قطع جانبًا عظيمًا من أغصانها وخاف علىٰ حياته، إن هو استمر في قطعها نهارًا أن يطلع علىٰ ذلك عبَّادها فيقتلوه، فنجا بنفسه ورجع إلىٰ بيته.

فلما رأىٰ ذلك المتبركون بها حزنوا له حزنًا شديدًا واتهموه بأنه صاحب ذلك العمل، ولم يستطع أن يعترف بذلك، وأرادوا أن يحاكموه، فلم يجدوا عليه بينة، ووقع بينه وبينهم نزاع كبير، ولا يزال هذا الأستاذ حيًّا يرزق إلىٰ الآن، وأما الشجرة فلا أدري هل هي باقية أم فنيت، وكان ذلك سنة ١٣٤١هـ.

قال المعرور بن سويد: «صليت مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح، ثم رأىٰ الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلىٰ فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيه.

فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا، فمن أدركته الصلاة في المساجد، فليصل، ومن لا فليمض، ولا يتعمدها»[١].

وفي «مغازي ابن إسحاق» من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية، قال: «لما فتحنا تُستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلىٰ عمر، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأ القرآن؛ فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد.

قلت: فماذا صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه علىٰ الناس لا ينبشونه.

قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون.

فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له: دانيال.

فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلثمائة سنة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٧٣٤) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٧٠٨)، وصححه العلامة الألباني في «فضائل الشام ودمشق» (١/ ١٨).

قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ويبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفرت به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو إنكار منهم لذلك، فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها -ولم يستحب الشارع قصدها- فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادات لم يشرع تخصيصها به، لا نوعًا ولا عينًا، إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق، لا لقصد الدعاء فيها، كمن يزورها ويسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتىٰ، كما جاءت به السنة، أما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه». انتهىٰ ملخصًا.

وروىٰ ابن جرير بسنده عن مجاهد في تفسير قوله تعالىٰ في سورة النجم: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩] الآية، قال: «كان اللات رجلًا يلت السويق للحاج، أي: يبله بالماء ويطعمهم إياه، فمات فعكفوا علىٰ قبره.

وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: «كان يلت السويق للحجاج»، والسويق: طحين حب مقلي حنطة وشعير وما أشبهها؛ يعني: ثم بعد ذلك جعلوا له تمثالًا، فصار أحد الأصنام المشهورة، وهذا الأثر رواه البخاري في «صحيحه» بسنده عن ابن عباس[(١)]، وهو يوضح خوف النبي ﷺ من أن يصير قبره وثنًا.

٢- أخرج أصحاب السنن، إلا النسائي، عن ابن عباس قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»[(٢)].

وفي الباب عن أبي هريرة رواه أحمد والترمذي وصححه، وحديث حسان ابن ثابت رواه ابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه قال: «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور»[(٣)].

وحديث ابن عباس هذا في إسناده أبو صالح مولىٰ أم هانئ، وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم، قال علي بن المديني عن يحيىٰ بن القطان: «لم أرَ أحدًا من أصحابنا ترك أبا صالح مولىٰ أم هانئ، وما سمعت أحدًا من الناس يقول فيه شيئًا، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان.

---

(١) برقم (٤٨٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٤)، والحاكم (١/ ٥٣٠)، من حديث حسان رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

قال ابن معين: ليس به بأس، ولهذا أخرجه ابن السكن في «صحيحه». انتهىٰ من «الذهب الإبريز» عن الحافظ المزي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جاء عن النبي ﷺ من طريقين: فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور، وذكر حديث ابن عباس، ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا، أحدهما عن الآخر.

وليس في الإسنادين من يتهم بالكذب، ومثل هذا حجة بلا ريب، وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي؛ فإنه جعل الحسن ما تعددت طرقه، ولم يكن فيهم متهم، ولم يكن شاذًّا؛ أي: مخالفًا لما ثبت بنقل الثقات.

وهذا الحديث تعدد طرقه وليس فيهم متهم، ولا خالفه أحد من الثقات، وهذا لو كان عن صاحب واحد، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب، وذاك عن آخر، فهذا كله يبين أن الحديث في الأصل معروف.

والذين رخصوا في الزيارة اعتمدوا علىٰ ما روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن وقالت: «لو شهدتك ما زرتك»، وهذا يدل علىٰ أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب للرجال؛ إذ لو كان كذلك لاستحبت زيارته، سواء شهدته أم لا؛ فعلىٰ هذا فلا حجة فيه لمن قال بالرخصة.

↓

وهذا السياق لحديث عائشة رواه الترمذي من رواية عبد الله بن أبي مليكة عنها، وهو يخالف سياق الأثرم له عن عبد الله بن أبي مليكة أيضًا: «أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت: يا أم المؤمنين، أليس نهىٰ رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، نهىٰ عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها»[١].

فأجاب شيخ الإسلام رحمه الله **عن هذا فقال:** ولا حجة في حديث عائشة؛ فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأن النهي منسوخ، ولم يذكر لها المحتج النهي الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن علىٰ الزيارة، يبين ذلك قولها: قد أمر بزيارتها، فهذا يبين أنه أمر بها أمرًا يقتضي الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة، ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال، ولم تقل لأخيها: «ما زرتك».

واللعن صريح في التحريم، والخطاب بالإذن في قوله: «فزوروها» لم يتناول النساء، فلا يدخلن في الحكم الناسخ، والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخًا له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحابه، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص؛ إذ قد يكون قوله: «لعن الله زوارات

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٠) مختصرًا، والحاكم (١/ ٥٣٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه».

القبور»[١]، بعد إذنه للرجال في الزيارة.

يدل علىٰ ذلك: أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنها محكم، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وكذلك الآخر.

والصحيح أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدها: أن قوله ﷺ: «فزوروها» صيغة تذكير، وإنما يتناول النساء أيضًا علىٰ سبيل التغليب، لكن هذا فيه قولان؛ قيل: إنه يحتاج إلىٰ دليل منفصل، وحينئذٍ فيحتاج تناول ذلك للنساء إلىٰ دليل منفصل.

وقيل: إنه يحمل علىٰ ذلك عند الإطلاق، وعلىٰ هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة ولا ينسخها عند جمهور العلماء، ولو كان النساء داخلات في هذا الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور، وما علمنا أحدًا من الأئمة استحب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء علىٰ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلىٰ زيارة القبور.

ومنها: أن النبي ﷺ علل الإذن للرجال بأن ذلك «يذكر الموت، ويرقق القلب، وتدمع العين» هكذا في «مسند أحمد».

ومعلوم أن المرأة إذا فتح لها هذا الباب أخرجها إلىٰ الجزع

---

(١) تقدم.

والندب والنياحة لما فيها من الضعف وقلة الصبر.

وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسببًا للأمور المحرمة؛ فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذي لا يفضي إلىٰ ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة: أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، فيحرم هذا الباب سدًّا للذريعة، كما حرم النظر إلىٰ الزينة الباطنية، وكما حرم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك، وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة؛ فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤها للميت، وذلك ممكن في بيتها.

ومن العلماء من يقول: التشييع كذلك، ويحتج بقوله ﷺ: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت**»(١).

وقوله لفاطمة: «**أما أنكِ لو بلغت معهم الكدىٰ لم تدخلي الجنة**»(٢).

ويؤيده ما ثبت في «الصحيحين» من «**أنه نهىٰ النساء عن اتباع الجنائز**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٨)، والبزار (٦٥٣) وغيرهما، من حديث علي رضي الله عنه، وأخرجه البزار (٤٠٥٦)، وأبو يعلىٰ (٤٢٨٤) وغيرهما، من حديث أنس رضي الله عنه، بدون: «فإنكن تفتن ... إلخ»، وضعفهما العلامة الألباني في «الضعيفة» (٢٧٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٢٣)، والنسائي (١٨٨٠)، وأحمد (٦٥٧٤)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وضعفه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٣) أخرجه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨)، من حديث أم عطية رضي الله عنها.

ومعلوم أن قوله ﷺ: «مَن صلىٰ علىٰ جنازة فله قيراط، ومن تبعها حتىٰ تدفن فله قيراطان»[١] هو أدل علىٰ العموم من صيغة التذكير؛ فإن لفظ «مَن» يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس، وقد علم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباع الجنائز؛ فإذن لم يدخلن في هذا العموم، فكذلك في ذلك بطريق الأولىٰ». انتهىٰ ملخصًا.

وعليه؛ فيكون الإذن في زيارة القبور مخصوصًا بالرجال، خص بقوله: «لعن الله زوارات القبور»[٢] الحديث، فيكون من العام المخصوص.

وعما استدل به القائلون بالنسخ أجوبة أيضًا: منها ما ذكروه عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما معارض بما ورد عنهما في هذا الباب فلا يثبت به نسخ.

ومنها: أن قول الصحابي وفعله ليس حجة علىٰ الحديث بلا نزاع، وأما تعليمه عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدل علىٰ نسخ ما دلَّت عليه الأحاديث الثلاثة من لعن زائرات القبور، لاحتمال أن يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد، والوعيد الشديد، والله أعلم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٣)، ومسلم (٩٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم.

الفصل الرابع
في بيان الغرض الأكبر من الدعوة المحمدية وهو التوحيد

اعلم -ألهمنا الله وإياك حب الحق وأهله، وكشف عن قلوبنا ظلمات الجهل، ونور بصائرنا بنور العلم الحق- أن أعظم ما جاء به محمد رسول الله ﷺ، هو إفراد الله بالتوحيد وتنزيهه عن الأنداد والشركاء في ربوبيته وعبادته، وفي سائر صفاته وأفعاله، وإذا تأملت كتاب الله وجدت فيه العناية بالتوحيد ونفي الشرك تزيد علىٰ العناية بغير ذلك من الفرائض بما لا مناسبة معه.

ولو قيل: إن نحو ثلث القرآن نص في إخلاص التوحيد ونفي الشرك، ما كان ذلك بعيدًا، فمن أباح الشرك بالله؛ فإما أنه لا يفهم معاني القرآن، وإما أنه منافق صاحب غرض خسيس.

وقد قضىٰ النبي ﷺ المدة التي قبل الهجرة، وهي ثلاث عشرة سنة مبشرًا ونذيرًا وداعيًا ومجادلًا بالحق في شأن التوحيد ليله ونهاره، لا يفتر ولا يمل تاركًا سائر الفرائض الأخرىٰ كالزكاة والصيام والحج، وبيان الحلال والحرام والآداب والرقائق إلا ما كان تابعًا للتوحيد.

وأما الصلاة فقد فرضت عليه في آخر هذه المدة، ولم يفصل أمرها إلا

بعد الهجرة، فصلاة الجمعة مثلًا وصلاة العيدين، والاستسقاء والخسوف والكسوف، والجنازة كل ذلك، إنما بينه بعد الهجرة، والصلوات الخمس نفسها إنما تم بيانها تفصيلًا بعد الهجرة، فما هو هذا الأمر العظيم الذي استغرق ثلاث عشرة سنة وحده تقريبًا، وأخذ أوفر نصيب من السنين العشر التي بعد الهجرة؟ هو توحيد الله الذي ضل عنه أكثر أهل الأرض فاتخذ الناس بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله.

ومما ورد في قوله تعالىٰ في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

وبهذه الآية كان النبي ﷺ يكتب إلىٰ ملوك الأمم ولا يذكر لهم شيئًا مما جاء به غير التوحيد؛ لأنه أصل الإسلام، وقال تعالىٰ في السورة نفسها: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران:٧٩،٨٠].

فمن أخل بهذا الأصل جهلًا، أو عنادًا، فأي دين يبقىٰ له، وأي إسلام يصح له؟ لا جرم أنه لا يكون جديرًا بنصر الله له واستخلافه في الأرض.

ومن درس سيرة الرسول ﷺ تبين له جده واجتهاده في حماية التوحيد وسد كل طريق يوصل إلىٰ الشرك، وقطع كل ذريعة تجر إليه، وذلك أداه لما فرض الله عليه علىٰ أكمل الوجوه وأتمها عملًا، بقوله تعالىٰ في سورة الحج: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨].

ثم هو مبالغة في النصح لأمته رأفة ورحمة بهم، كما قال تعالىٰ عنه في آخر سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**. رواه أبو داود[1] بإسناد حسن، ورواته ثقات.

قوله: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا»**.

قال شيخ الإسلام: أي: لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهىٰ عن تحريمها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارىٰ ومن تشبه بهم من هذه الأمة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٧٨٩٠)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا**»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر مرفوعًا: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه**»(٢).

قوله: «**ولا تجعلوا قبري عيدًا**» اعلم أن العيد علىٰ نوعين:

عيد زماني: يعود إلىٰ الناس في كل سنة: وفي كل شهر، وفي كل أسبوع كالجمعة؛ فإنها عيد المسلمين تعود إليهم في كل أسبوع، وكعيد الفطر وعيد الأضحىٰ؛ فإنهما يعودان علىٰ الناس في كل سنة.

وعيد مكاني: يعود الناس إليه، كالكعبة ومنىٰ ومزدلفة وعرفة، وقد كانت للمشركين في الجاهلية أعياد زمانية وأعياد مكانية، فلما جاء الإسلام أبطلها وجعل مكانها الأعياد الإسلامية التي مر ذكرها، فلا يجوز للمسلمين أن يبتدعوا عيدًا زمانيًّا ولا مكانيًّا لم يشرعه الله علىٰ لسان نبيه ورسوله ﷺ، وقد نهانا عليه الصلاة والسلام أن نجعل قبره عيدًا، أي: موضعًا نتردد عليه ونجتمع فيه، كما نفعل بالكعبة ومنىٰ وعرفة ولا حاجة بنا إلىٰ ذلك؛ لأن صلاتنا عليه يبلغه الله إياها أينما كنا.

وأما مسجده عليه الصلاة والسلام، فهو أحد المساجد الثلاثة المفضلة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠)، وفيه: «ينفر» بدلًا من: «يفر».

التي يشرع لنا أن نشد إليها الرحال بقصد الصلاة فيها، وبعد انتقال النبي ﷺ إلىٰ دار الكرامة لم تبق بين المسلمين وبينه صلة إلا اتباع سنته والتمسك بشريعته، ومحبته أكثر من النفس والأهل والمال، وكثرة الصلاة والسلام عليه، ولا شيء من ذلك يستلزم إتيان قبره.

وعن علي بن الحسين -هو زين العابدين- أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها فيدعوه فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؟ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ؛ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**». رواه في «المختارة»[1].

وهذا الحديث وحديث أبي هريرة المتقدم جيدان حسنا الإسنادين.

أما الأول: فرواه أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصائغ قال: أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فذكره، ورواته ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع قال فيه أبو حاتم: ليس بالحافظ، تعرف وتنكر.

وقال ابن معين: هو ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومثل هذا إذا كان لحديثه شواهد علىٰ أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة.

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد، وله

---

(١) برقم (٤٢٨)، وقد سبق.

شواهد يرتقي بها إلىٰ درجة الصحة.

وأما الحديث الثاني: يعني حديث علي بن الحسين عليه السلام فرواه أبو يعلىٰ والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي في «المختارة».

قال شيخ الإسلام: فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة (كذا)، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار؛ لأنهم إلىٰ ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط.

وقال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشىٰ، فقال: هلم إلىٰ العشاء. فقلت: لا أريده.

فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت علىٰ النبي ﷺ.

فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم، لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء[1].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه- كما في الاقتضاء لابن تيمية (٢/ ١٧٢)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة» (٣٠)، وابن أبي شيبة مختصرًا (٧٦٢٥)، وعبد الرزاق (٤٨٣٩) مختصرًا، وقال العلامة الألباني في «أحكام الجنائز» (١/ ٢٢٠): مرسل بإسناد قوي.

وقال سعيد أيضًا: حدثنا حبان بن علي، حدثنا محمد بن عجلان عن أبي سعيد المهري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ؛ فإن صلاتكم تبلغني»(١).

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان علىٰ صحة الحديث لاسيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضي ثبوته عنده، وهذا لو روي من وجوه مسندة من غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا؟

قوله: «علي بن الحسين»؛ أي: ابن أبي طالب المعروف، بزين العابدين ﵁ أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم.

قال الزهري: «ما رأيت فتىٰ أفضل منه»، مات سنة ثلاث وتسعين علىٰ الصحيح وأبوه الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته، حفظ عن النبي ﷺ، واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدىٰ وستين، وله ست وخمسون سنة ﵁.

قوله: «أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة» بضم الفاء وسكون الراء، وهي: الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما.

قوله: «فيدخل فيها فيدعوه فنهاه» هذا يدل علىٰ النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام: ما علمت أحدًا رخص فيه؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه

---

(١) انظر السابق.

عيدًا، ويدل أيضًا علىٰ أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه؛ لأن ذلك لم يشرع، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: «ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلىٰ مسجد النبي ﷺ فيصلون؛ فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء، فلم يشرعه لهم، بل نهاهم عنه في قوله: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني**»[1].

فبين أن الصلاة تصل إليه من بُعد، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذ كانت عائشة رضي الله عنها فيها، وبعد ذلك إلىٰ أن بني الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلىٰ قبره لا يدخلون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتىٰ يسمعهم كلامًا أو سلامًا، فيظنون أنه كلمهم وأفتاهم، ويبين لهم الأحاديث، وأنه قد رد عليهم السلام، بصوت يسمع من خارج، كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتىٰ ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم

(١) تقدم.

ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتىٰ خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها، كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج.

والمقصود: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم إذا قدم من سفره كما كان ابن عمر يفعل.

قال عبيد الله بن عمر عن نافع: «كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتىٰ قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف»[1].

قال عبيد الله: «ما نعلم من أصحاب النبي ﷺ من فعل ذلك إلا ابن عمر»، وهذا يدل علىٰ أنه كان لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام: «لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة».

وفي «المبسوط»: «قال مالك: لا أرىٰ أن يقف عند قبر النبي ﷺ، ولكن يسلم ويمضي، ونص أحمد أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٧٢٤)، والبيهقي (٥/ ٢٤٥)، وصححه العلامة الألباني في «تحقيقه لفضل الصلاة علىٰ النبي» (٩٩).

يستدبره».

وبالجملة: فقد اتفق الأئمة أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وتنازعوا هل يستقبله عند السلام عليه أم لا؟ وفي الحديث دليل علىٰ منع شد الرحال إلىٰ قبره ﷺ، ولا إلىٰ غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها.

وقد اختلف العلماء؛ فمن مبيح لذلك كالغزالي وأبي محمد المقدسي، ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل، وأبي محمد الجويني، والقاضي عياض، وهو قول الجمهور نص عليه مالك، ولم يخالفه أحد من الأئمة، وهو الصواب لما في «الصحيحين» عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: **«لا تشد الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصىٰ»**[1].

فدخل في النهي شدها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا، وجاء في رواية بصيغة النهي فتعين أن يكون للنهي، ولهذا فهم منه الصحابة رضي الله عنهم المنع، كما في «الموطأ» و«المسند» والسنن، عن بصرة عن[2] أبي بصرة الغفاري، أنه قال لأبي هريرة -وقد أقبل من الطور-: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تُعمَل المطيُّ إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا،**

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وصوابه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كذا بالأصل «عن» وصوابه «ابن»، وانظر «الموطأ» (٢٩١-يحيىٰ).

والمسجد الأقصىٰ»[١].

وروىٰ أحمد وعمر بن شبة في «أخبار المدينة» بإسناد جيد عن قزعة قال: «أتيت ابن عمر فقلت: إني أريد الطور. فقال: «إنما تشد الرحال إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصىٰ، فدع عنك الطور ولا تأته».

فابن عمر وبصرة بن أبي بصرة جعلا الطور مما نهي عن شد الرحال إليه؛ لأن اللفظ الذي ذكراه فيه النهي عن شدها إلىٰ غير الثلاثة مما يقصد به القربة، فعلم أن المستثنىٰ منه عام في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصًّا بالمساجد، ولهذا نهيا عن شدها إلىٰ الطور، مستدلين بهذا الحديث، والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة؛ فإن الله سماه: «الوادي المقدس، والبقعة المباركة»، وكلم كليمه موسىٰ ﷺ هناك، وهذا هو الذي عليه الأئمة الأربعة وجمهور العلماء.

ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبًا لابن الأخنائي فيما اعترض به علىٰ ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وأخذ به العلماء، وقياس الأولىٰ؛ لأن المفسدة في ذلك ظاهرة.

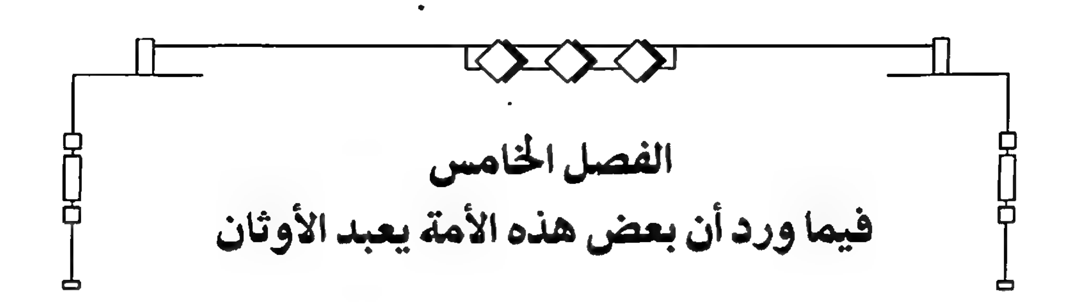
وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة، فغاية ما فيها أنها لا مصلحة

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٠١)، والطيالسي (١٤٤٥)، وصححه العلامة الألباني في «أحكام الجنائز» (١/ ٢٢٦).

في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه، وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب «الصارم المنكي في رده علىٰ السبكي»، وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ، وذكر هو وشيخ الإسلام رحمهما الله تعالىٰ، أنه لا يصح منها حديث عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه مع أنها لا تدل علىٰ محل النزاع؛ إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال، فيحمل علىٰ الزيارة الشرعية التي ليس فيها شرك ولا بدعة.

* * *



الفصل الخامس
فيما ورد أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

الوثن على وزن سبب، هو كل جماد عُبد من دون الله، يشمل التماثيل والأشجار والأحجار وغير ذلك، والأصنام جمع صنم خاص بالتماثيل، والوثن أعم من الصنم، فالقبر الذي يُعبد من دون الله يسمى وثنًا، ولا يسمى صنمًا.

إن من أعظم ما يصد الناس عن معرفة أعظم ما جاء به الرسول وهو توحيد الله وضده وهو الشرك بالله، وهو الذنب الذي لا يغفر بنص الكتاب العزيز وإجماع الأمة، قال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

إن من أعظم ما يصد الناس عن معرفة هذا الأصل العظيم الذي عليه مدار الإسلام، ما ألقى الشيطان في قلوب كثير ممن يسمون فقهاء أو علماء قادة مرشدين، وعاظًا مفتين، هو أن الشرك بالله شيء كان فبان ولم يبق له وجود في هذه الأمة، ولا يمكن أن يطرأ على أحد منها، وكل من يقول: لا إله

إلا الله محمد رسول الله، ولو كان لا يعرف معناه ولا يعمل بمقتضاها، فهو مؤمن موحد، وإن ارتكب الشرك قولًا وفعلًا، بل ولو زاد علىٰ الشرك حتىٰ صار يخاف الأوثان والآلهة الأخرىٰ أكثر مما يخاف الله، ويتصدق لهم أكثر مما يتصدق لله، ويدعوهم أكثر مما يدعو الله، ويتوكل عليهم في قضاء الحاجات وتفريج الكربات أكثر مما يتوكل علىٰ الله.

لذلك أردنا أن نبين في هذا الفصل ما رواه الأئمة الحفاظ عن الرسول الأعظم في هذا الباب مما لا يبقي أدنىٰ شك ولا ريب في أن بعض هذه الأمة لابد أن يقعوا في الشرك وفي عبادة الأوثان، ومن نفىٰ ذلك أو أمنه علىٰ نفسه وعلىٰ الناس فقد خالف القرآن وسنة الرسول، بل وسنة إمام الحنفاء الأول إبراهيم؛ إذ قال كما حكىٰ الله عنه في سورة إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾؛ يعني: مكة، ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

وقال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة:١٣٢]؛ أي: موحدون؛ أي: كونوا موحدين دائمًا، حتىٰ إذا جاءكم الموت وهو لا يأتيكم إلا بغتة، يجدكم موحدين، ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة:١٣٣]، ولو أن

رجلًا من العلماء الحنفاء جمع أولاده عند موته، فقال لهم: يا بني، ما تعبدون من بعدي؟ هذا، وقد علمهم القرآن والسنة ولم تبدر منهم بادرة تدل على الانحراف عن الجادة، لعده هؤلاء السفهاء الذين يتسمون بالفقهاء مجنونًا ورموه بكل عيب ونقص، فماذا يقولون في إبراهيم ويعقوب وفي محمد صلوات الله عليهم أجمعين؛ إذ قال حين حضره الموت: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يحذر ما صنعوا[١].

فكبار أولي العزم يخافون الشرك على أولادهم وأممهم، والجهال والسفهاء يجعلونه مستحيلًا، ولو على أجهل الناس، وسترى في هذا الفصل ما يكشف النقاب عن الحق.

١- روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**.

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فمن؟!**»[٢]. وفي رواية: «اليهود والنصارى وفارس؟ قال: «**فمن القوم إلا أولئك**».

قوله عليه الصلاة والسلام: «لتتبعن» أكده بالقسم المقدر واللام والنون (سنن) بفتح السين، وهو الطريق، وهو أفصح، أو بضمها جمع

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)، وفيه: «شبرا بشبر، وذراعًا بذراع» بدلًا من: «حذو القذة بالقذة».

سنة، وهي الطريقة.

وقوله: «**حذو القذة بالقذة**»، القذة بضم القاف: رأس السهم، يعني: كما أن السهام تكون متساوية لا يختلف بعضها عن بعض، فكذلك أنتم لابد أن يفعل بعضكم كما فعل أهل الكتابين والمجوس من الكفر والشرك والمعاصي، حتىٰ لو دخلوا في غار ضب لدخلتم فيه.

وفي رواية: «**حتىٰ لو كان فيهم من يأتي أمه علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك**»[(١)]؛ يعني: لو كان في الأمم السابقة من يزني بأمه، والناس ينظرون، لكان في هذه الأمة من يفعل ذلك، وهذا يأتي علىٰ كل ما يتشدق به المتهوكون، من قولهم بأن الشرك بعيد كل البعد عمن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

والعجب كل العجب من هؤلاء أنهم قد يكفِّرون من يقول: لا إله إلا الله محمد رسوله بأمور تافهة، كأن يقول: مسيجد، وبعض المالكية يكفر من يستعمل الريق في إصبعه للفصل بين صفحتين من صفحات المصحف، وبعضهم يكفِّر من يحلق لحيته أو يلبس لباس الإفرنج، كأن يضع القلنسوة المعروفة بالبرنيطة علىٰ رأسه، بل بعضهم زاد علىٰ ذلك، فزعم أن من قال للعالم (عويلم) فقد كفر.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

وأما من يشرك بالله فيدعو غيره بتضرع وابتهال وخشوع لا يقع منه في سجوده في صلاة الفريضة، ويطلب من غير الله قضاء الحاجات وتفريج الكربات، كشفاء الأمراض وإعطاء الأولاد، وتوسيع الأرزاق ونصر المظلوم، وهداية القلوب، وإمالة قلوب السلاطين والملوك، وهزيمة الأعداء والانتصار عليهم، وإنزال المطر، هذا كله لا يجعله شركًا ولا كفرًا، ولو نبه عليه وتليت عليه الآيات والأحاديث فازداد عتوًّا ونفورًا، كذلك يطبع الله علىٰ قلوب الذين لا يعلمون.

٢- أخرج مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زَوَىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة، وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وأن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوًّا من أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها، حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا»(١).

ورواه البرقاني في «صحيحه» وزاد: «إنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان، وأنه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى». رواه أبو داود وابن ماجه أيضًا بهذه الزيادة(١).

بيان معنى هذا الحديث:

قوله: «إن الله زوى لي الأرض».

قال الطيبي: «أي: جمعها لي فأبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغرب منها».

قوله: «وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها».

قال القرطبي: «هذا الخبر وجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة -بالنون والجيم- الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند والهند، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر ﷺ أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه».

قوله: «زوي لي منها»؛ يحتمل أن يكون مبنيًّا للفاعل، وأن يكون مبنيًّا للمفعول.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢٠٢) مختصرًا، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

قوله: «وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض».

قال القرطبي: «يعني كنز كسرىٰ وهو ملك الفرس، وكنز قيصر، وهو ملك الروم، وقصورهما وبلادهما، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»[(١)].

وعبر بالأحمر عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرىٰ؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، ووجد ذلك في خلافة عمر؛ فإنه سيق إليه تاج كسرىٰ وحليته وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته علىٰ سعتها وعظمتها وكذلك فعل الله بقيصر، والأبيض والأحمر منصوبان علىٰ البدل».

قوله: «وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة»، الباء زائدة، وعامة صفة سنة.

ومثله في حديث عائشة: «أصابتها حمىٰ بنافض»؛ أي: حمىٰ نافض، والسنة هنا: القحط، كما قال تعالىٰ في سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأعراف:١٣٠]؛ أي: بالجدب، والقحط المتوالي.

قوله: «من سوىٰ أنفسهم»؛ أي: من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضًا، يعني: فحينئذٍ يسلط عليهم أعداءهم، وما داموا مجتمعين علىٰ الإسلام متناصرين لا يسلط الله عليهم عدوهم فيهلكهم أبدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨).

قوله: «ليستبيح بيضتهم»، بيضة القوم، حوزتهم وساحتهم، كما في القاموس والصحاح.

قوله: «**يا محمد، إني إذا قضيت قضاء لا يرد**»؛ يعني: إذا حكمت حكمًا مبرمًا لا ينقض.

وفي الحديث الصحيح: «**ولا راد لما قضيت**»(١).

والبرقاني هو الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه، كثير التصانيف، صنف مسندًا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة».

قوله: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**»؛ أي: الأمراء والعلماء والعباد، فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم، كما قال تعالىٰ في سورة الأحزاب: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب:٦٧]، وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة فليأت إلىٰ قبري؛ فإني أقضيها له، ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من ترابي،

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٣٩١)، والطبراني في «الدعاء» (٦٨٦)، من حديث المغيرة رضي الله عنه، والحديث أصله في «الصحيحين» بغير هذه الزيادة، قال العلامة الألباني في «الضعيفة» (٥٥٩٨): فالزيادة شاذة.

ونحو هذا.

وهذا هو الضلال البعيد، يدعو أصحابه إلىٰ أن يعبدوه من دون الله، ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم، وقد قال تعالىٰ في سورة الحج: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج:١٢-١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت:١٧]، وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين الله تعالىٰ به الهدىٰ من الضلال.

ومن هذا الضرب: من يدعي أنه يصل مع الله إلىٰ حال تسقط فيها عنه التكاليف، ويدعي أن الأولياء يُدْعَون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور علىٰ سبيل الكرامة، وأنه يطلع علىٰ اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، ويجوز بناء المساجد علىٰ قبور الأنبياء والصالحين، وإيقادها بالسرج، ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله، فما أكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه ولرسوله.

وقوله ﷺ: «وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين»، أتىٰ بإنما التي قد تأتي للحصر بيانًا لشدة خوفه علىٰ أمته من أئمة الضلال، وما وقع في خَلَدِ النبي ﷺ في ذلك إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أن سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: «لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم...» الحديث.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلون»، رواه أبو داود الطيالسي(١).

وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين». رواه الدارمي(٢).

وقد بيَّن اللهُ تعالىٰ في كتابه صراطه المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين، فكل من أحدث حدثًا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو ملعون، وحدثه مردود، كما قال ﷺ: «من أحدث حدثًا أو آوىٰ محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا»(٣).

وقال: «من أحدث في أمرنا [هذا] (٤) ما ليس منه فهو ردٌّ»(٥).

---

(١) أخرجه الطيالسي (١٠٦٨)، وأحمد (٢٧٥٢٥)، والدارمي (٢١١) وغيرهم، وصححه بشواهد العلامة الألباني في «الصحيحة» (١٥٨٢).

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧٠) مختصرًا، من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود بالأصل، وما أثبتناه من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[١].

وهذه أحاديث صحيحة، ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها، وقد بيَّن الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:٣].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية:١٨]. ونظائرها في القرآن كثيرة.

وعن زياد بن حدير قال: «قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين». رواه الدارمي[٢].

وقوله ﷺ: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة». وكذلك وقع؛ فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى.

قوله: «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين»، والحي: واحد الأحياء، وهي القبائل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».
(٢) برقم (٢١٤)، وصححه العلامة الألباني في «المشكاة» (٢٦٩).

وفي رواية أبي داود: «**حتىٰ يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**»؛ أي: يوافقونهم في دينهم ويحتكمون إلىٰ شريعتهم معرضين عن شريعة الرسول ﷺ.

قوله ﷺ: «**حتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان**»، الفئام بكسر الفاء مهموز، الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات، وفي رواية أبي داود: «**حتىٰ تعبد قبائل من أمتي الأوثان**».

وفي هذا أعظم دليل لمن زعم أن هذه الأمة لا يمكن أن يعبد أحد منها الأوثان بعد نزول القرآن وانتشار الإسلام والنطق بالشهادتين، وأداء الفرائض، فإن التوحيد -كما تقدم- هو أعظم الفرائض، والشرك هو أعظم الذنوب، فمن أخل بأعظم الفرائض وارتكب أعظم الذنوب، فقد بنىٰ دينه علىٰ شفا جرف هار.

ويؤيد هذا ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تضطرب أليات نساء دوس علىٰ ذي الخَلَصة**»[١]. وذي الخَلَصة: صنم لدوس كانت تعبد في الجاهلية.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله **في قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف**: «فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة علىٰ هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، وكذا حكم المشاهد التي بنيت

(١) أخرجه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).ب

علىٰ القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر، لا يجوز إبقاء شيء منها علىٰ وجه الأرض مع القدرة علىٰ إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزىٰ ومناة، أو أعظم شركًا عند هاويها.

فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذوة بالقذوة، وغلب الشرك علىٰ أكثر النفوس، لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين». انتهىٰ.

وقصة هدم اللات مشهورة في كتب الحديث والسير.

قال السهيلي في «شرح سيرة ابن هشام»:

«(فصل) وذكر -يعني: ابن هشام- إسلام ثقيف وهدم طاغيتهم، وهي اللات، وأن المغيرة وأبا سفيان هما اللذان هدماها، وذكر بعض من ألف في السير أن المغيرة قال لأبي سفيان حين هدمها: ألا أضحكك من ثقيف، فقال: بلىٰ، فأخذ المعول وضرب به اللات ضربة ثم صاح، وخر علىٰ وجهه، فارتجت الطائف

بالصياح سرورًا بأن اللات قد صرعت المغيرة، وأقبلوا يقولون: كيف رأيتها يا مغيرة، دونكها إن استطعت، ألم تعلم أنها تهلك من عاداها، ويحكم ألا ترون ما تصنع؛ فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم: يا خبثاء، والله ما قصدت إلا الهزأ بكم، ثم أقبل علىٰ هدمها حتىٰ استأصلها، وأقبلت عجائز ثقيف تبكي حولها وتقول: أسلمها الرضاع إذا كرهوا المصاع؛ أي: أسلمها اللئام حين كرهوا القتال. انتهىٰ.

قوله ﷺ: «**وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي**».

قال القاضي عياض: عد مَن تنبأ من زمان رسول الله ﷺ إلىٰ الآن ممن اشتهر بذلك وعرفه واتبعه جماعة علىٰ ضلاله، فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا.

وقوله: «**وأنا خاتم النبيين**»، قال الحسن: الخاتم، الذين ختم به، يعني: أنه آخر النبيين، كما قال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وإنما ينزل عيسىٰ بن مريم آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ، مصليًا إلىٰ قبلته، فهو كأحد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة، قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فليكسرن**

الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية»[١].

قوله: «لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم».

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث، فلا أدري من هم؟».

قال ابن المبارك وعلي بن المديني، وأحمد بن سنان، والبخاري وغيرهم: «إنهم أهل الحديث».

قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد افتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكون في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولًا فأولًا، إلىٰ ألا يبقىٰ إلىٰ فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهىٰ ملخصًا.

وعن علي بن المديني، أن الطائفة المذكورة في الحديث هم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

العرب، واستدل برواية من روى: هم أهل الغرب، وفسر الغرب بالدلو العظيمة، لأن العرب هم الذين يسقون بها.

قال جامع هذا الكتاب: يرحم الله علي بن المديني، فهو الحافظ الحجة، وفي كلامه نظر؛ فإن الغرب، وهي الدلو العظيمة، ليس خاصًا بالعرب، بل يستعمله الناس في كل مكان في الشرق والغرب.

وقيل: أن المراد بالغرب هم أهل الشام؛ لأنهم في غرب المدينة، وهذا ضعيف أيضًا.

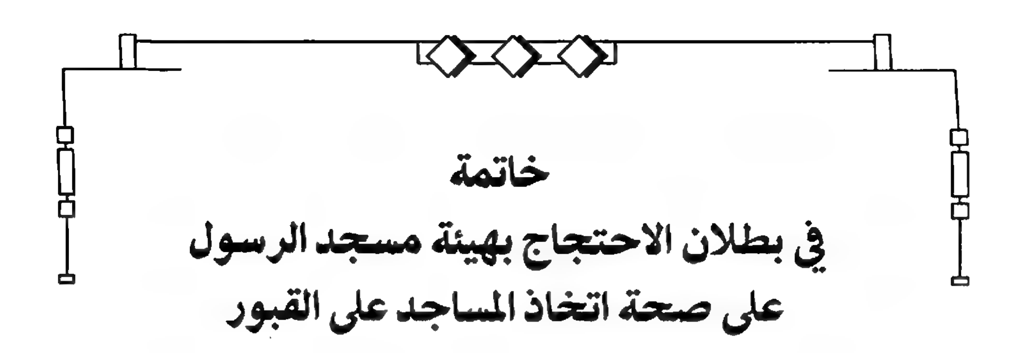
والحق أن هذا من الأمور التي لم يظهر معناها بعد، وسيظهر في المستقبل، إن صحت هذه الرواية، وفي هذا الحديث البشارة بأن الحق لا يزول زوالًا تامًا، واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

أقول: صدق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإن الطائفة التي شهد لها الرسول ﷺ أنها على الحق لابد أن تكون عالمة بالحق، تقيم عليه البرهان من كتاب الله وسنة رسوله والنظر العقلي الصحيح، ولا يجوز أن تكون هذه الطائفة مقلدة لسواد في بياض، تهرف بما لا تعرف، كما هو شأن المقلدين الذين يتصدرون للإفتاء والقضاء، وربقة التقليد في أعناقهم لا يعرفون دليلًا، ولا يهتدون سبيلًا، فالتقليد جهل كما قال ابن المعتز:

عــرف العلمــاء فضــلك بــالعلم وقـــال الجهـــال بالتقليـــد

يعني: أن ممدوحه قد اتفق العلماء والجهال علىٰ فضله، أما العلماء فعرفوا فضله بالدليل، وأما الجهال فقلدوا العلماء في الشهادة له بالفضل.

* * *



خاتمة
في بطلان الاحتجاج بهيئة مسجد الرسول على صحة اتخاذ المساجد على القبور

اعلم أن كثيرًا ممن زين لهم سوء عملهم، فاتخذوا المساجد علىٰ القبور وعصوا الرسول يعمدون إلىٰ المغالطة والمؤاربة فيحتجون علىٰ جواز اتخاذ المساجد علىٰ القبور بكون الحجرة الشريفة التي دفن الرسول ﷺ وصاحباه قد أدخلت في جانب المسجد في زمان بعض الصحابة والتابعين، ولم ينكر أحد ذلك فصار كالإجماع.

وهذا الاحتجاج مردود من وجوه:

الأول: إذا سلمنا أن هذه الصورة التي صار إليها جانب مسجد النبي ﷺ هي ما نهىٰ عنه الرسول ﷺ، وأجمعت الأمة علىٰ عدم جوازه، حسبما سبق في هذا الجزء، يكون هناك إجماعان متناقضان، أحدهما: مبني علىٰ نصوص صحيحة صريحة لا تقبل التأويل، وقد صرح بمنعه علماء جميع الطوائف والمذاهب كما تقدم.

والآخر إجماع سكوتي مبني علىٰ غير دليل، فأيهما أحق بالترجيح، الإجماع الذي صرح بمنطوقه الصحابة والتابعون وتابعوهم

إلىٰ يومنا هذا، أم الإجماع الذي لم يصرح بمنطوقه أحد، وليس له دليل أصلًا، لا شك أن الأول أرجح، وأن الثاني مبني علىٰ شفا جرف هار.

الثاني: أن الإجماع السكوتي ليس بحجة عند أكثر الأئمة، وقد بسط القول فيه علماء الأصول في كتبهم فراجعها، وهذا يبطل ما احتجوا به ويقضي عليه قضاء تامًّا.

الثالث: أن ادعاء الإجماع السكوتي هنا باطل؛ لأن كل من روىٰ أحاديث النهي عن اتخاذ المساجد علىٰ القبور، وكل من حكم بكراهة الصلاة عندها يخالف في هذه المسألة خلافًا صريحًا، فبطل بذلك ادعاء الإجماع السكوتي.

الرابع: قد تقدم من الأئمة أن الذي أدخل حجرات أزواج النبي ﷺ، ومنها حجرة عائشة التي تتضمن قبر النبي ﷺ، إنما هو ملك غشوم، ليس أهلًا أن يقتدىٰ به ولا كرامة، ولو لم يخالف نصًّا ولا إجماعًا، فكيف وقد خالف النص الصحيح الصريح، فعمله هذا محرم ومخالف لسيرة الخلفاء الراشدين، فكيف يكون عمل مثل هذا الملك حجة علىٰ حديث الرسول ﷺ، ونصوص العلماء فتجعل أحاديث النبي ﷺ الصحيحة الصريحة الواردة في هذا الباب كلها منسوخة بفعل ملك ظالم فاجر؛ قد ضللنا إذن وما نحن من المهتدين.

الخامس: لم يدخل الوليد بن عبد الملك حجرات أزواج النبي ﷺ،

وحجرة ابنته فاطمة عليها السلام، بقصد توسيع المسجد ابتغاء وجه الله واتباعًا لمرضاته، بل فعل ذلك بقصد سيئ شيطاني، هو حب العلو والفساد، فقد نقل صاحب «إتمام الوفا بأخبار دار المصطفىٰ»، أن الوليد بن عبد الملك كان يخطب علىٰ منبر النبي ﷺ، فرأىٰ الحسين ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في بيت فاطمة ينظر في مرآة فأنف لذلك وغضب.

أقول: غضب من حقده وعداوته لأهل البيت عليهم السلام، لأنه رأىٰ الحسين سبط النبي ﷺ في بيت جدته عليها السلام المفتوح بابه إلىٰ مسجد جده صلوات الله عليه، فأصابه المقيم المقعِد من الحسد، لأن أهل المسجد ولا شك أنهم كانوا كلهم يعتقدون أن الحسين أولىٰ بذلك المنبر منه، وأنه -أي: الوليد- مغتصب هو وأبوه وجده، وهم السفهاء والشياطين الذين وردت الإشارة إليهم في الأحاديث الصحيحة، وأنهم سفهاء الأحلام ينزون علىٰ منبر النبي ﷺ[1]؛ فيأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويستغلون الدين الحنيف لتمشية أغراضهم الخسيسة وملكهم المغتصب.

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٦٤٦١) الحاكم في (٤/ ٥٢٧)، من حديث أبي هريرة، ولفظه: «أن رسول الله ـ صلىٰ الله عليه و سلم ـ رأىٰ في المنام كأن بني الحكم ينزون علىٰ منبره وينزلون فأصبح كالمتغيظ وقال: مالي رأيت بني الحكم ينزون علىٰ منبري نزو القردة» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٩٤٠).

ثم نعود إلىٰ معنىٰ كلام صاحب «إتمام الوفا»:

قال: فلما نزل الوليد بن عبد المطلب من المنبر دعا عامله عمر ابن عبد العزيز الأموي، ولم يكن في ذلك الوقت من الصلاح والتقوىٰ كما كان حين تولىٰ الخلافة؛ فأمره بهدم جميع الحجرات التي كانت حول مسجد النبي ﷺ، وقال له: لا أرىٰ شيئًا من هذه الحجرات يبقىٰ هاهنا، فأهدمها وأدخلها في المسجد.

السادس: أن الصحابة والتابعون لم يرضوا بهذا العمل، ولا سكتوا عليه؛ فإن عمر بن عبد العزيز حين أراد الإقدام علىٰ هذا العمل جاءه الإمام محمد بن شهاب الزهري فنهاه عن ذلك وأخبره أنه لا يرضىٰ أهل المدينة بهذا العمل من علماء الصحابة والتابعين؛ فأبىٰ عمر وقال له: أمر أمير المؤمنين لابد من تنفيذه، ولم يقل له: إن هذا الأمر فيه إصلاح وخير وتقرب إلىٰ الله، فلما أبىٰ عليه قال: إن كان ولابد فاجعل حول الحجرة جؤجؤًا، أي بناءً مثلثًا حتىٰ لا تمكن الجهال من الصلاة تجاه القبر، فقبل منه ذلك، وقد تقدمت الإشارة إليه، وكان من جملة حجرات أزواج النبي ﷺ حجرة حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ، وكان يسكن فيها عبيد الله بن عمر.

فلما أرادوا أن يهدموها امتنع من الخروج، وقال: والله، لا تهدمونها إلىٰ علىٰ رأسي، فبقي فيها حتىٰ أخذ العملة يهدمونها، فجاءه بنو عدي عشيرته وأخرجوه وقالوا له: أتراهم يتعففون عن قتلك، قال السمهودي:

قال راوي هذا الحديث[١]: فما رأيت أكثر من ذلك اليوم باكيًا، يعني: أن الناس بكوا بكاءً شديدًا لهذا العدوان الجديد وانتهاك حرمات بيوت النبي ﷺ، فكيف يقال: أن الصحابة والتابعين رضوا بهذا العمل وسكتوا عليه، ثم ينتقل ذلك إلىٰ الاحتجاج بسكوتهم.

السابع: أن الوليد بن عبد الملك جلب البنائين المهرة والنقاشين والمزخرفين من بلاد الروم، وخالف سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، فزخرف المسجد النبوي ونمقه بالفسيفساء والذهب، وهو أول من زخرف المساجد في هذه الأمة، وسن هذه السنة السيئة[٢]، فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أمرت بتشييد المساجد**»[٣]. قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارىٰ. رواه أبو داود.

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يتباهىٰ الناس في المساجد**»[٤]. رواه الخمسة إلا الترمذي.

---

(١) هو عطاء الخراساني. انظر: كتاب «الرد علىٰ الأخنائي» (ص١٩٢).

(٢) روي أن الوليد قال للقاسم بن محمد –بعد أن زخرف المسجد–: كيف ترىٰ مسجدنا من مسجدكم –أي: قبل زخرفته له–؟ فأجاب: كنا نبني كبناء المساجد فبنيتم كبناء الكنائس.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٤٨)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٤٩)، والنسائي (٦٨٩)، وابن ماجه (٧٣٩) وغيرهم، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

وقال البخاري: قال أبو سعيد: كان سقف المسجد من جريد النخل، فأمر عمر ببناء المسجد، وقال: «أَكِنَّ الناس من المطر وإياك أن يحمر أو يصفر فيفتتن الناس».

الثامن: أن الأصل الإسلامي العظيم الذي أجمع عليه المسلمون، ونطق به القرآن والحديث وجوب طاعة الرسول ﷺ بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهىٰ عنه، ولا ينسخ حديث الرسول ﷺ إلا بحديث مثله أو أصح منه مع معرفة تاريخ الحديثين.

وقد علمت أن الأحاديث كلها بخلاف ما زعمه أهل هذه الشبهة ناطقة يعضدها إجماع الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وليس مع هؤلاء المدعين دليل أصلًا، لا صحيح ولا ضعيف.

وفي هذا القدر ما يكفي في دحض شبهتهم، والله الموفق.

* * *





الفهرس

مقدمة المعتني ٥
تقريظ العلامة الشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ ١٠
العلم المأثور والعَلَم المنصور، واللواء المنشور في الرد علىٰ أهل الغرور، المستنجدين بالمقبور بقلم الدكتور: محمد تقي الدين الهلالي ٢٣
الفصل الأول: في أصل عباده الأصنام ٣٢
الفصل الثاني: فيما جاء في تحريم العبادة عند قبور الصالحين ٣٧
الفصل الثالث: فيما ورد من أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا ٥٤
الفصل الرابع: في بيان الغرض الأكبر من الدعوة المحمدية وهو التوحيد . ٦٨
الفصل الخامس: فيما ورد أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ٨٠
خاتمة في بطلان الاحتجاج بهيئة مسجد الرسول علىٰ صحة اتخاذ المساجد علىٰ القبور ٩٧
الفهرس ١٠٣